الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية

قسم الكتاب والسنة

مطبوعة موجهة لطلبة السنة الثانية ل- م- د

مطبوعة :حديث تحليلي

من إعداد أساتذة المادة

تحت إشراف الدكتور :صالح عومار

السنة الدراسية :

1429-1430هـ/ 2008-2009م

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

ألا وإن أحسن الكلام كلام الله سبحانه وتعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وصحابته، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن دراسة الحديث النبوي؛ تحليلا، وشرحا، وتفهما وتفقها من أهمّ أساسيات ومقاصد علم السنة النبوية، والسنة.

وعليه فإن مادة "الحديث التحليلي" مهمة جدا في التكوين العلمي لطالب العلم، وبخاصة طلبة قسم الكتاب

وتحقيقا لهذا المقصد المهم فقد اخترت في هذه المذكرة العلمية باقة من الأحاديث النبوية في أبواب متنوعة؛ – العلم، الأحكام، التوحيد والإيمان، النصيحة للمسلمين، والأخلاق والأدب –، قمت بتحليلها تحليلا علميا، ومنهجيا، منضبطا بقواعد أهل العلم، وشرّاح الحديث النبوي.

وستكون هذه المذكرة – بإذن الله تعالى- معينا للطالب على إتقان الخطوات العلمية في تحليل الحديث النبوي، كما تسهم في إثراء معلوماته حول مصادر الشرح الحديثي وخطواته، وتعطيه القاعدة الأساس في فهم هذا العلم وتحصيله.

- وعليه سأقدم دراسة الأحاديث، ببيان موجز لأهم الخطوات العلمية والمنهجية في تحليل الحديث النبوي:

تحليل الحديث النبوي يتم ضمن مرحلتين اثنتين؛ الدراسة الإسنادية، ثم الدراسة المتنية.

أولا: الدراسة الإسنادية، ويكون المقصود منها:

1/ تخريج الحديث تخريجا فنيا، وعلميا، مع التنبيه إلى أهم الفوائد الإسنادية.

2/ ضبط متن الحديث، أو تحقيق الرواية التامة للحديث.

3/ بيان سبب ورود الحديث – إن وُجِد –، وما أحاط برواية الحديث من ملابسات.

4/ ذكر وبيان تبويبات أئمة الحديث المصنفين على الحديث في كتبهم.

5/ بيان درجة الحديث صحّةً وضعفا، وهي المقصد الأهمّ من الدراسة الإسنادية.

ثانياً: الدّراسةُ الْمَتْنيةُ:

وهي المقصد الأهمّ، ويكون العمل في تحليل الحديث وفق خطوات علمية، أهمّها:

6/ ترجمة موجزة لراوي الحديث (الصحابي).

7/ شرح مفردات الحديث، أو شرح غريب الحديث: وما قد يُشْكِل من ألفاظه.

8/ بيان المعنى الإجمالي للحديث والفكرة الأساس التي يتحدث عنها.

9/ شرح جمل الحديث وتحليلها وبيان ما فيه من معان، وما يستنبط منه من الفوائد العلمية، والأحكام العملية، والتوجيهات التهذيبية، والمواعظ الإيمانية والأخلاقية، والرقائق الوجدانية، وشذرات من الفنون البلاغية.

10/ بيان الفوائد التي حواها الحديث من الهدايات النبوية؛ التربوية، والنفسية، والاجتماعية...

والطالب في كل هذا يستعين بالمصادر والمراجع التي عنيت بالحديث النبوي؛ تصنيفا، وتخريجا، وشرحا.

الأحاديث المقترحة:

الحديث الأول: حديث أبي الدرداء "من سلك طريقا يطلب فيه علما...".

الحديث الثاني: حديث أبي هريرة "هو الطهور ماؤه...".

الحديث الثالث: حديث معاذ بن جبل "حق الله على العباد...".

الحديث الرابع: حديث تَميم الداري "الدين النصيحة...".

الحديث الخامس: حديث أبي هريرة "الإيمان بضع وسبعون شعبة...".

الحديث السادس: حديث ابن مسعود "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر...".

أستاذ المادة: د/ صالح بن سعيد عومار

الحديث الأول

نص الحديث

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (255هـ):

"أخبرنا نصر بن علي الْجَهْضَمِيّ حدثنا عبد الله بن داود الْخُرَيْبِيّ عن عاصم بن رجاء بن حيْوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال:

كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء، إني جئتك من مدينة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، ما جئتُ لحاجةٍ، قال أبو الدرداء – رضي الله عنه –:

فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول:

"مَنْ سلك طريقا يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإنّ الملائكة لتضعُ أجنحتها رضىً لطالب العلم.

وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتانُ في جوْف الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العُلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرّثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورّثُوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر".

الدراسة الإسنادية

1/ الحديث رواه:

الترمذي في "كتاب العلم/ باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة" 5/ 48 رقم (2682).

وأبو داود في "كتاب العلم/ باب: الحث على طلب العلم" رقم (3641).

وابن ماجه في "المقدمة/ باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم" 1/ 81 رقم (223).

والدارمي في "المقدمة/ باب: في فضل العلم والعالم" رقم (354).

وأحمد في "المسند" 5/ 196، ورقم (21715 – طبعة شعيب).

والطحاوي في "مشكل الآثار" 1/ 429.

وابن حبان في "صحيحه" رقم (88).

وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" رقم (169– 177).

والبغوي في "شرح السنة" 1/ 275، 276.

والبيهقي في "كتاب الآداب" رقم (1188).

والخطيب في "الرحلة في طلب الحديث" رقم (77، 78):

كلّهم من طرق عن:

عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء...

2/ تراجم رجال الإسناد:

عاصم بن رجاء = هو عاصم بن رجاء بن حيوة الفلسطيني، قال ابن معين "صويلح"، وقال أبو زرعة "ليس به بأس"، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال ابن عبد البر "ثقة مشهور"، وفي التقريب "صدوق يهم"، بينما ضعّفه الدارقطني. روى له أبو داود، والترمذي وابن ماجه.[1]

داود بن جميل = وهو مجهول كما قال الدارقطني، وابن عبد البر، والأزدي، والذهبي، ولم يرو عنه أحد غير عاصم بن رجاء، وفي التقريب "ضعيف"، بينما أدخله ابن حبان في "الثقات". روى له أبو داود وابن ماجه حديثا واحدا.[2]

كثير بن قيس = هو كثير بن قيس الشامي، ويقال "قيس بن كثير" والأول أكثر، قال ابن حجر "ضعيف". روى له أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.[3]

3/ روى الإمام أبو عيسى الترمذي هذا الحديث فقال:

"حدثنا محمود بن خداش البغدادي حدثنا محمد بن يزيد الواسطي حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال: كنت جالسا مع أبي الدرداء..."، وكذا رواه أحمد عن عاصم عن قيس كنت جالسا...".

ثم تعقبه بقوله: "ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل هكذا... وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس[4] عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا أصح من حديث محمود بن خداش، ورأيُ محمدٌ بن إسماعيل هذا أصح".[5]

---

[1] - ينظر: الجرح والتعديل 6/ 342 رقم (1897) - تهذيب الكمال 13/ 483 رقم (3006) - ثقات ابن حبان 7/ 259 - تحرير التقريب رقم (3058).

[2] - ينظر: الجرح والتعديل 3/ 408 رقم (1873) - تهذيب الكمال 8/ 378 رقم (1752) - جامع بيان العلم وفضله 1/ 162، 163 - تحرير التقريب رقم (1778).

[3] - ينظر: الجرح والتعديل 7/ 155 رقم (865) - تهذيب الكمال 24/ 149 رقم (4955) - ثقات ابن حبان 5/ 331 - تحرير التقريب رقم (5624).

[4] - وقع في رواية الأكثرين هنا: "داود بن جميل عن قبس بن كثير".

[5] - السنن 5/ 49 - وكذا صوّب رواية الباب، ابنُ عبد البر في "جامع بيان العلم" 1/ 162

4/ متابعات الحديث:

- عقَب الإمام أبي داود رواية قيس بن كثير عن أبي الدرداء برواية "شبيبة بن شيبة عن عثمان بن أبي سودة عن أبي الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بمعناه"، رقم (3642) وسكت عنه، وحسن هذه الطريق الشيخ الألباني في "صحيح الترغيب" 1/ 33.

- ومن المتابعات ما رواه الآجري في "أخلاق العلماء" (ص10) وعنه الخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" 1/ 105 رقم (59) من طريق "حفص بن عمرو عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن أبي الدرداء...". وفيها ضعف.

5/ هل الحديث صحيح؟

الحديث تنازع فيه أهل العلم بالحديث فمنهم من ضعفه، ومنهم من حسنه ورآه صالحا مقبولا؛ فممّن ضعفه الدارقطني فقال في "العلل" "لا يصح"، والذهبي قال "مضطرب".[1]

بينما قبله الإمام الترمذي، وأبو داود – سكت عنه وما سكت عنه في سننه فهو صالح -، وصححه ابن حبان، والحاكم، وذكر جزءا من متنه الإمام البخاري في جامعه الصحيح مما يدل أن له أصلا، قال في صحيحه: "باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (محمد: من الآية 19) فبدأ بالعلم.

وأنّ العلماء ورثة الأنبياء، ورّثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهّل الله له طريقا إلى الجنة..."، قال الحافظ ابن حجر: "وحسّنه حمزة الكناني، وضعّفه غيرهم باضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولم يُفصح المصنف بكونه حديثا، فلهذا لا يُعَدّ من تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلا...".[2]

ولهذا قبل هذا الحديث وارتضاه في بابه الفقهي جلّ الأئمة وأخرجوه في كتبهم؛

كالدارمي، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والخطيب، وابن عبد البر... وصنّف في شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي مصنفا...

وممن حسّنه أيضا الشيخ الألباني في "صحيح الترغيب" 1/ 33 – والشيخ شعيب الأرناؤوط في "تخريج المسند" 36/ 46 رقم (21715).

والخلاصة أن الحديث لا شك في قوته وصلاحيته للعمل بتعضد طرقه، وورود شواهد عديدة لمتنه –

---

[1] - ميزان الاعتدال 2/ 4، 5 ترجمة "داود بن جميل".

[2] - فتح الباري 1/ 210، 211.

يأتي بيانها أثناء الشرح والتحليل -، وليس فيه ما يستنكر، وهذا مسلك العديد من أهل الحديث النقاد في تقوية الأحاديث وقبولها. والله أعلم

الدراسة المتنية

ترجمة الصحابي

هو: عُوَيْمِر بن زيد بن قيس الأنصاري أبو الدرداء صاحب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، الإمام القدوة، قاضي دمشق، حكيم هذه الأمة، وسيّد القراء بدمشق.

وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، روى عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عدة أحاديث.

أسلم يوم بدر، وشهد أحدا، والمشاهد بعدها.

روى عنه أنس بن مالك، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو إدريس الخولاني، وعلقمة بن قيس، وابن المسيب، وقبيصة بن ذؤيب، وزوجته أم الدرداء العالمة...

وَلِيَ القضاء بدمشق في خلافة عثمان، فهو أول من ذكر من قضاتِها.

كان زاهدا عابدا عالما، روى البخاري عن:

"أبي جُحيْفة أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - آخى بين سلمان وأبي الدرداء؛ فجاء سلمان يزوره، فإذا أمُّ الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: إن أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل، ويصوم النهار.

فجاء أبو الدرداء فرحب به، وقرب إليه طعاما، فقال له سلمان: كل، قال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل معه. ثم بات عنده، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا، فقال له سلمان:

إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه.

فأتى النبيَّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فذكر ذلك له، فقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: صدق سلمان".[1]

مما قيل فيه:

كان ابن عمر - رضي الله عنهما - بقول:

---

[1] - الجامع الصحيح "كتاب الصيام/ باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع" رقم (1968)، وفي "كتاب الأدب/ باب: صنع الطعام والتكلف للضيف" رقم (6139).

"حدثونا عن العاقلين، فيقال: من العاقلان؟ فيقول: معاذ، وأبو الدرداء".

وقال مسروق: شامَمْت أصحابَ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، فوجدت علمهم انتهى إلى عمر، وعلي، وعبد الله، ومعاذ، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت.

وقال ابن إسحاق: "كان الصحابة يقولون: أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء".

من أقواله - رضي الله عنه -:

معلم الخير والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير فيما سواهما.

وقال: لا يكون تقيا حتى يكون عالما، ولن يكون بالعلم جميلا حتى يكون به عاملا.

مات في آخر خلافة عثمان رضي الله عنهما.[1]

شرح غريب الحديث

سلك = أصل يدل على نفوذ شيء في شيء، يقال سلكت الطريق أسلكه، أي اتبعته ومشيت فيه.

وافر = الوافر هو الكثير.

المعنى الإجمالي للحديث

الحديث بقصته يمثل جانبا مضيئا من الحياة العلمية التي عرفها سلف هذه الأمة، ألا وهو الرحلة في طلب العلم وبخاصة الحديث النبوي، فهذا رجل طالب علم يرحل من المدينة النبوية إلى دمشق الشام لأجل سماع حديث واحد عمن صاحب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، فحدثه أبو الدرداء - رضي الله عنه - بالحديث المطلوب، أو بحديث العلم لأنه المناسب لرحلته العلمية الشاقة.

وحديث أبي الدرداء في العلم من الأحاديث الكثيرة التي حفلت بها السنة النبوية في بيان أهمية العلم الشرعي وفضله وأصالته في هذا الدين، وسياقه فيه من البدائع والتشبيهات، ودقيق العبارات وجزالتها ما يعطي لمعانيها قوة وروعة بيانية تميزت بها أحاديث المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم -... ففيه ترغيب في تحصيل العلم الشرعي، وبيان للمكانة العظيمة التي أعطاها دين الإسلام لطالب العلم...

فقد تنوعت تلك الصور في الحديث؛ وعد بتيسير دخول الجنة، وجزاء باستغفار كل المخلوقات لطالب العلم، وتفضيل له على العابد، وتشبيه له بالقمر ليلة البدر، ثم تقرير للمكانة العظيمة له "ورثة الأنبياء"... فطلبة العلم هم سليلة صفوة خلق الله من الأنبياء والرسل والذين ورّثوا ما ينفع الناس من العلم والهدى.

---

[1] - ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد 7/ 391- 393 – الاستيعاب لابن عبد البر 4/ رقم (1646) – الإصابة لابن حجر 7/ 182 - سير أعلام النبلاء للذهبي 2/ 335- 353 – مقدمة تحقيق "ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء/ لابن رجب" ص 9-11.

تحليل الحديث وشرح جُمله

1/ الحديث بسياقه كله، وبمختلف ألفاظه يدل على فضل تعلم العلمي الشرعي؛ علم الكتاب والسنة، وهذا الباب عظيم في السنة النبوية، بل وفي كتاب الله عز-وجل. فقد صحت عشرات الأحاديث عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - في الحث والترغيب في الاجتهاد في تحصيل العلم النافع، سيأتي الحديث عن بعضها في خلال شرح الحديث.

والمهم التنبيه هنا إلى أن كثرة الأحاديث في موضوع العلم تدل دلالة قاطعة على الأهمية التي أولاها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - للعلم ولطالب العلم وفضله، وأن العلم مقصد أساس جاء به دين الإسلام وأولاه عناية فائقة جدا، بل الإسلام والعلم به، قرينان لا يفترقان، فلا إسلام ولا إيمان بدون علم.

2/ قوله "منْ سلك طريقا يطلب فيه علما" =

أي مشى إليه حقيقة بالأقدام إلى مجالس العلم وأماكن تحصيله، وبذل فيه الأموال والأوقات، وأيضا سلك طرقه المعنوية؛ بحفظه ودراسته ومطالعته ومذاكرته والتفهم فيه... وأسلوب الحديث عام فكل سالك لتحصيل العلم مجتهد فيه يدخل في عموم الحديث وتنطبق عليه أحكامه، سواء بلغ درجة العلماء والطلبة المتفوقين أم لم يبلغ، فهو موعود بالجزاء والفضل، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

3/ قوله "سلك الله به طريقا من طرق الجنة" =

يدخل تحته عدة معان كلها صحيحة؛

منها أن يسهل الله لطالب العلم العلمَ الذي هو موصل إلى الجنة، ويفتح عليه من أبوابه ومسائله. ومنها أن ييسر الله له العمل بذلك العلم فيكون سببا في هدايته وانتفاعه به وهو طريق إلى الجنة، ومنها أن العلم هو الذي يُعَرِّف صاحبَه بربه سبحانه وبحقوقه فيعبه حق عبادته ولا يشرك به شيئا، وكذا بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وبحقوقه وبسنته فيمتثل الاتباع الصحيح، ومنها أن العلم هو الذي يقي صاحبة الفتن بكل أنواعها من شبهات وشهوات، فدواء الشبهات هو العلم النافع الذي يزيل الغشاوات عن صاحبها ويقوده نحو الفهم السليم والمعتدل لهذا الدين، ودواء الشهوات العلم بحرمتها وجرمها وحقارتها عند الله تعالى، وعواقبها الوخيمة على دين المرء، فيستقر في قلبه بغضها وكراهتها فتسمو نفسه عن مقارفتها...

وكل هذا قائد إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى موصل إلى جناته، فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله – عليهم الصلاة والسلام -.

4/ قوله "وإنّ الملائكة لتضعُ أجنحتها رضىً لطالب العلم" =

أي تواضعا له على عظيم العمل الذي يقوم به، وشرف السبيل الذي يسلكه، فهي تخفض أجنحتها تواضعا له وتوقيرا وإكراما لما يحمله من ميراث النبوة ويجتهد في طلبه وتحصيله، وهو يدل على المحبة والتعظيم،

فمِنْ محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له، لأنه طالب لما به حياة العالَم ونجاته... وهذه من صور الجزاء التي حفل بها الحديث.

5/ قوله "وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتانُ في جوْف الماء" =

والجزاء من جنس العمل، فلما كان العلم به نجاة النفوس وسعادتها، ونجاة العباد على يدي العلماء وطلبة العلم، جوزي من جنس عمله، فكان من في السماوات ومن في الأرض من الملائكة والحيوان والحيتان والطير يستغفرون له، ويسعون في نجاته... والعكس بالعكس فإن انتشار الجهل بالدين سبيل إلى كثرة الإفساد والفساد الذي لا يسلم منه إنسان ولا حيوان ولا جماد.

فسعادة الدنيا كلها في اتباع العلم الذي جاء به المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم -؛ توحيد الله سبحانه وتعالى، وإقامة الحق والعدل بين الناس، ورفع الظلم والجور والعداوات بينهم، وهذا يعود بالخير والمصلحة حتى على الحيوان والجماد، والمتأمل في دنيا الناس اليوم بإعراضها عن منهج ربها يدرك عظم الفساد الذي لحق بالخلق والخليقة، وصدق الله إذ يقول:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) (النحل97).

6/ قوله "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" =

فيه عدة مسائل؛

منها أنه جعل فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وفيه تشبيه مطابق لحال القمر والكواكب، فإن القمر يضيء الآفاق، ويمتد نوره في أقطار العالم وأرجائه، وهذه حال العالِم، وأما الكوكب فنوره لا يجاوز نفسه أو ما قَرُب منه، وهذه حال العابد.

- ومنها تشبيه الجهل بالليل في ظلمته وشدته على الناس، والعلماء والعبّاد بمنزلة القمر والكواكب التي تضيء للناس ليلهم البهيم، فيُبْصرون طريقهم ويسلكون في أمان، أما إذا غاب القمر والكواكب فإنهم يتيهون ويضيعون، يقول محمد بن الحسن أبو بكر الآجُرّي - رحمه الله - في بيان بعض ما تضمنه الحديث من المعاني:

"فما ظنكم رحمكم الله، بطريق فيه آفاتٌ كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فإن لم يكن فيه ضياء وإلا تَحَيَّرُوا، فقيّضَ الله لهم فيه مصابيح تضيء لهم، فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت طبقات من الناس لابد لهم من السلوك فيه فسلكوا، فبينما هم كذلك إذ طُفئت المصابيح فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بهم.

هكذا العلماء في الناس، لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض، ولا كيف اجتناب المحارم، ولا كيف يُعْبَدُ اللهُ في جميع ما يَعبُده به خلقه إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء، تحيّر الناس ودُرس العلم بموتهم،

وظهر الجهل، فإنا لله وإنا إليه راجعون، مصيبة ما أعظمها على المسلمين".[1]

وروى البخاري في "جامعه الصحيح" عن عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أنه كتب إلى أبي بكر بن حزم:

"انْظُر ما كان من حديث رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فاكتُبْهُ، فإني خِفْتُ دروسَ العلم، وذهابَ العلماء، ولا يُقبل إلا حديث النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –، وليُفْشُوا العلم، وليجلسوا حتى يَعْلَمَ من لا يعلمُ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً".[2]

وهذا المعنى يؤكده النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بقوله فيما يرويه عنه عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما –:

"إن الله لا يَقْبِضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعه من الناس – وفي رواية: من العباد – ولكنْ يقبض العلم بقبْضِ العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً، اتخذ الناسُ رؤوسا جُهّالا، فسُئلوا، فأفْتَوْا بغير علم، فضَلُّوا وأضَلُّوا".[3]

فذهاب العلماء وقلتهم هو سبيل انتشار الجهل والظلام على الأمة، وهو سبب ضلال العباد في الدنيا وخسرانهم في الآخرة.

– ومنها أيضا أن قِوام الدين وزينته وإضاءته بعلمائه وعُبّاده، فإذا ذهبوا ذهب الدين، وبقاؤه بوجودهم، كما أن إضاءة السماء وزينتها بالقمر والكواكب، فإذا خسف القمر وانتثرت الكواكب، أتاها ما توعد... فحياة الأمة الحقيقية إنما هي بالعلم الذي جاء به النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يؤكده حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

"مَثَلُ ما بعثني اللهُ به من الهدى والعلم كمثل غَيْثٍ أصاب أرضا، فكانت منها طائفةٌ طيبة قبلت الماء وأنبتت الْكَلأ والعُشْب الكثير، وكان منها أَجَادِبُ أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وزرعوا. وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ. فذلك مثل من فَقُهَ في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أُرْسِلتُ به".[4] نعم فالوحي الذي بعث به النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – هو بمثابة الغيث للأرض، وأي أمّة حُرمته فهي ميتة، وأي أمة قبلته وانتفعت به وعملت بأحكامه كانت أمة حية... يقول الإمام الشافعي – رحمه الله – في بيان هذا المعنى:

ومن فاته التعليم وقْتَ شبابه ... فكبّر عليه أرْبعاً لوفاته

وذاتُ الفتى واللهِ بالعلم والتُّقى ... إذا لم يكونا، لا اعْتبارَ لِذَاتهِ.

---

[1] – أخلاق العلماء ص28، 29.

[2] – الجامع الصحيح "كتاب العلم/ باب: كيف يقبض العلم" 1/ 194 عند رقم (100).

[3] – رواه البخاري في "كتاب العلم/ باب: كيف يقبض العلم" رقم (100) – ومسلم.

[4] – رواه البخاري في "كتاب العلم/ باب: فضل من علم وعلّم" رقم (79) – ومسلم.

- ومنها أن علم العالم ليس ذاتيا كما أن نور القمر وضوءه ليس ذاتيا، فالعلماء لا يُتَّبعون لذواتِهم، وإنما لعلم الوحي الذي يحملونه ويبلغونه الناس.

- ومنها فضل العلم والاشتغال به على الاشتغال بالعبادة والعزوف عن تحصيل العلم مما يوقع صاحبها في البدع، والأخطاء، والانحراف عن سواء السبيل، ويكفي في هذا قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا... فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال:

"كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمّل به مئة. ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا... القصة".[1] وهذه قصة عظيمة تؤكد معنى حديث الباب، والفضل الكبير الذي يتقدم به العالم على العابد.

7/ قوله "وإن العُلماءَ ورثةُ الأنبياء..." =

وهذه من أعظم مناقب أهل العلم وطلابه أنهم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته، إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده، كان العلماء أحق من يقوم مقام الأنبياء، وأحق الناس بميراثهم. وفيه تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم، لأن الميراث يستحقه أقرب الأقارب إلى الموروث، وكلما ازداد المرء علما كلما ازداد قربا من النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -.

- وفيه أيضا أن العلم المقصود في الحديث وفي كل ما جاء في السنة النبوية من أحاديث في العلم إنما هو العلم الشرعي، يقول الإمام أبو حاتم بن حبان البستي - رحمه الله - (365 هـ):

"في هذا الحديث بيان واضح أنّ العلماءَ الذين لهم الفضل الذي ذكرنا؛ هم الذين يَعلَمون علمَ النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - دون غيره من سائر العلوم، ألا تراهُ يقول: "العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا إلا العلم". وعلمُ نبيّنا - صلى الله عليه وآله وسلم - سنّتُه، فمنْ تَعَرّى عن معرفتها، لَمْ يكن من ورثة الأنبياء".[2]

- وفيه إرشاد وأمر للأمة بطاعتهم واحترامهم، وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم، فإنهم ورثة مَنْ هذه بعض حقوقهم على الأمة.

- وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدين، وبغضهم مناف للدين، كما هو في موروثهم.

---

[1] - رواه مسلم في "كتاب التبة/ باب: قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله" رقم (2766) - والبخاري.

[2] - الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان 1/ 295 رقم 88

8/ قوله "فمن أخذه أخذ بحظ وافر" =

فيه ترغيب وتأكيد آخر أن من أخذ بالعلم (ميراث النبوة)، فقد أخذ بحظ وقسط وافر، لأن أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبد ودام نفعه، وليس هذا إلا حظه من العلم والدين، فهو الحظ الدائم النافع، وهي الرفعة الحقيقية كما قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة11) يقول الحافظ ابن حجر:"ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة...".[1]

ومفهوم الحديث أن من حرم العلم الشرعي النافع فقد حرم خيرا كثيرا، كما في حديث معاوية – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول:

"من يُرد الله به خيرا يُفَقِّهْهُ في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله".[2]

9/ وفي القصة ما كان عليه سلف الأمة من الاجتهاد في الرحلة في طلب العلم الشرعي وبخاصة الحديث النبوي، فهذا رجل يرحل من المدينة النبوية إلى دمشق الشام من أجل سماع حديث واحد من مصدره – أبي الدرداء – مع أنه سمعه بالواسطة لكنه آثر العلو والتثبت.

والرحلة في طلب العلم كانت تمثل معلما بارزا من معالم الحياة العلمية في ذلك الوقت، فكانت سببا مباشرا وأساسا في حفظ السنة النبوية، وحفظ الدين، ونبوغ المئات من الأئمة في الحديث والفقه والتفسير...

والرحلة في طلب العلم منهج علمي تربوي مشى عليه طلبة العلم في جميع الأعصار وفي مختلف الأقطار إلى يوم الناس هذا، وقلّ عالم، أو طالب علم متفوق إلا وله رحلات ورحلات إلى مجالس العلم والعلماء، وإلى مختلف الحواضر العلمية... فينبغي إذن السير على درب طلبة العلم من سلف الأمة وخلفها حتى ننهل من معين علم الكتاب والسنة ونتأدب بآداب العلم وحليته، وقد أنشد الإمام الشافعي في هذا المعنى:

تغَرّبْ عن الأوطان في طلَبِ الْعُلَى ... وسافِرْ ففي الأسْفارِ خَمْسُ فَوائِدِ

تَفَرُّج هَمٍّ، واكْتسابُ مَعيشَةٍ ... وعِلْمٌ، وآدابٌ، وصُحْبَةُ ماجِدِ

وإنْ قيل فِي الأسفارِ ذُلٌّ ومِحْنَةٌ ... وقَطْعُ الْفَيَافي وارْتكابُ الشّدائدِ

فمَوْتُ الفَتَى خيْرٌ له من حياتِهِ ... بدَارِ هَوانٍ، بيْن وَاشٍ وحاسِدِ.

والله أعلم وهو الموفق والهادي سوء السبيل.

---

[1] – فتح الباري 1/ 186.

[2] – رواه البخاري في "كتاب بالعلم/ باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" رقم (71).

الحديث الثاني

نص الحديث:

- روى مالك في الموطأ عن:

"صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة – من آل بني الأزرق – عن المغيرة بن أبي بردة – وهو من بني عبد الدار – أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول:

جاء رجل [وفي رواية: ناس من بني مُدْلَج – وفي رواية: عبد الله المدلجي] إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، فقال:

يا رسول الله، إنا نركب الماء [وفي رواية: إنا أهل أرْماث]، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

نعم، هو الطهور ماؤه الحل مَيْتَتُه".

- وقال الإمام الدارمي:

"أخبرنا الحسن بن أحمد الحراني ثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن الْجُلاح أبي كثير عن سعيد بن سلمة المخزومي عن المغيرة بن أبي بردة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

أتى رجل من بني مدلج إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - فقال:

يا رسول الله، إنا أصحاب هذا البحر، نعالج الصيد على رَمَثٍ، فنَعْزُب فيه الليلة والليلتين والثلاث والأربع، ونحمل معنا من العَذْبِ أشفاهَنا، فإن نحن توضأنا به خشِينا على أنفسنا، وإن نحن آثرنا بأنفسنا وتوضأنا من البحر وجدنا في أنفسنا من ذلك، فخشينا أن لا يكون طهورا.

فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

توضؤوا منه، فإنه الطاهر ماؤه الحلال ميتته".

أولا: الدراسة الإسنادية

1/ الحديث رواه:

مالك في "كتاب الطهارة/ باب: الطهور للوضوء" 1/ 24 رقم (53).

والدارمي في "كتاب الطهارة/ باب: الوضوء من ماء البحر " رقم 751، 752.

والترمذي في "أبواب الطهارة/ باب: ما جاء في ماء البحر أنه طهور" 1/ 100 رقم (69) وقال "هذا حديث حسن صحيح".

وأبو داود في "كتاب الطهارة/ باب: الوضوء بماء البحر" رقم (83).

والنسائي في "كتاب الطهارة/ باب: ماء البحر" رقم (59)، وفي "كتاب المياه/ باب: الوضوء بماء البحر" رقم (334)، وفي "كتاب الصيد والذبائح/ باب: ميتة البحر" رقم (4352).

وابن ماجه في "كتاب الطهارة وسننها/ باب: الوضوء بماء البحر" 1/ 136 رقم 386.

وأحمد في "المسند" 2/ 237، 393.

وابن خزيمة في "كتاب الوضوء/ باب: الرخصة في الغسل والوضوء من ماء البحر؛ إذ ماؤه طهور، ميتته حل..." 1/ 59.

وابن حبان في "صحيحه" (1243، 5258).

وابن الجارود في "المنتقى" "باب: في طهارة الماء والقدر الذي ينجس ولا ينجس" رقم (43).

والدارقطني في "السنن" 1/ 36.

والحاكم في "المستدرك على الصحيحين" 1/ 140، 141 – وفي "معرفة علوم الحديث" ص 86، 87:

كلهم من طريق مالك عن صفوان بن سُليم به...

2/ **وفي الباب**: عن جابر بن عبد الله الأنصاري

أخرجه أحمد 1/ 201، 202 (الفتح الرباني) – ومن طريقه: ابن ماجه رقم (388) – وابن خزيمة 1/ 59 – وابن الجارود رقم (879) - وابن حبان (1244) – والدارقطني 1/ 34-37.

- وعن الفراسي:

أخرجه: ابن ماجه رقم (387) – وابن عبد البر في "التمهيد" 1/ 220 – والبيهقي في "السنن الكبرى" 1/ 3، 4:

قال الإمام أبو عيسى الترمذي: "وسألت محمدا عن حديث ابن الفراسي في ماء البحر؟ فقال: هو مرسل، ابن الفراسي لم يدرك النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، والفراسي له صحبة".[1]

وعن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس بن مالك. ينظر: [سنن الدارقطني 1/ 34- 37 – مستدرك الحاكم 1/ 142 – وسنن البيهقي 1/ 3، 4].

بعض الفوائد الإسنادية:

3/ تلخيص طرق الحديث:

بعد رسم شجرة إسناد الحديث، نقول:

---

[1] - العلل الكبير ص 41، 42.

الحديث رواه مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن أبي بردة عن أبي هريرة مرفوعا.

وتابع مالكا جماعة من الرواة منهم؛ أبو أويس، وعبد الله بن محمد المقدمي...

وتابع صفوان عن سعيد الجلاحُ أبو كثير.

وتابع سعيدا عن المغيرة كل من يزيد بن محمد القرشي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، لكن يحيى أرسله.

وتابع المغيرة عن أبي هريرة أبو هند.

ولحديث أبي هريرة شواهد من أحاديث: جابر بن عبد الله، وابن الفراسي، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك.

4/ هل الحديث صحيح؟

يقول الحافظ الزيلعي:

"قال الشيخ تقي الدين – ابن دقيق العيد – في الإمام: وهذا الحديث يُعلّ بأربع علل:

أحدها: جهالة سعيد بن سلمة، والمغيرة بن أبي بردة، وقالوا: لم يرو عن المغيرة بن أبي بردة إلا سعيد بن سلمة، ولا عن سعيد بن سلمة إلا صفوان بن سليم.

[قال الحافظ ابن عبد البر:

"أما سعيد بن سلمة فلم يرو عنه – فيما علمتُ – إلا صفوان بن سليم، والله أعلم... ومن كانت هذه حاله فهو مجهول لا تقوم به حجة عندهم. وأما المغيرة بن أبي بردة فهو المغيرة بن عبد الله بن أبي بردة، قيل إنه غير معروف في حملة العلم كسعيد بن سلمة، وقيل إنه ليس بمجهول".[1]]

الثانية: أنهم اختلفوا في اسم سعيد بن سلمة، فقيل هذا، وقيل عبد الله بن سعيد، وقيل سلمة بن سعيد.

الثالثة: الإرسال، قال ابن عبد البر: ذكر ابن أبي عمرو الحميدي والمخزومي عن ابن عيينة عن يحيى بن سعيد عن المغيرة بن أبي بردة أن ناسا من بني مدلج أتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ... الحديث.

قال: وهذا مرسل لا تقوم بمثله الحجة، ويحيى بن سعيد أحفظ من صفوان بن سليم وأثبت من سعيد بن سلمة.[2]

قال الشيخ: وهذا مبني على تقديم إرسال الأحفظ على إسناد من دونه، وهو مشهور في الأصول.

---

[1] - التمهيد 16/ 218.

[2] - ينظر كلام ابن عبد البر في "التمهيد" 16/ 220.

الرابعة: الاضطراب؛ فوقع في رواية: المغيرة عن أبيه... وقيل عن المغيرة عن رجل من بني مدلج... وقيل عن المغيرة أن رجلا من بني مدلج... وقيل عن عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة أن رجلا".[1]

والجواب عن ذلك من وجوه:

الأول: دعوى جهالة سعيد بن سلمة مردودة، فقد روى عنه ثقتان؛ صفوان بن سليم، والجلاح أبو كثير، كما وثقه النسائي وابن حبان.

وكذا المغيرة بن أبي بردة روى عنه جماعة كما في (التهذيب 10/ 256)، ووثقه النسائي وابن حبان، وقال أبو داود: "معروف"، وقال ابن دقيق العيد: "هذا مع كونه معروفا من غير هذا الحديث في مواقف العدو في الحروب بالمغرب".[2]

الثاني: أن الاختلاف في اسم سعيد بن سلمة ليس بعلة قادحة، وقد وهم فيه عبد الرحمن بن إسحاق، فإنه هو الذي رواه بالشك كما في "علل الدارقطني"، والصواب أنه "سعيد بن سلمة" كما قال مالك بن أنس، وهو أجل من كل من خالفه وأتقن، فالمصير إلى روايته هو المتعيَّن.[3]

الثالث: أما الإرسال؛ فإن يحيى بن سعيد قد اختلف عنه في هذا الحديث اختلافا عظيما حتى من كبار تلاميذه كشعبة وسفيان بن عيينة، مما يدل على أن الوهم والاضطراب منه، وأنه لم يحفظ إسناده كما قال البيهقي عقب ذكره للاختلاف عن يحيى بن سعيد: "وهذا الاختلاف يدل على أنه لم يحفظ كما ينبغي، وقد أقام إسنادَه مالكُ بن أنس..."، والاختلاف إنما يؤثر في رواية يحيى بن سعيد خاصة لا في غيرها.

الرابع: دعوى الاضطراب؛ والحديث المضطرب هو ما روي على أوجه مختلفة متساوية في القوة لا يمكن الجمع أو الترجيح بينها.

أما إذا ترجحت إحدى الروايات على الأخرى، أو أمكن الجمع بينها بشكل مقبول على قواعد المحدثين فإن صفة الاضطراب تزول عن الحديث، وهو الواقع في هذا الحديث فإن مالكا ومن تابعه حفظوا الحديث على الوجه الصحيح، وأقاموا إسناده، يقول الحافظ البيهقي:

"وقد أقام إسناده مالك بن أنس عن صفوان بن سليم، وتابعه على ذلك الليث بن سعد عن يزيد عن الجلاح أبي كثير، ثم عمرو بن الحارث عن الجلاح، كلاهما عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن أبي بردة عن

---

[1] - نصب الراية 1/ 96، 97 – وينظر أيضا "بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن" لأبي إسحاق الحويني 2/ 98 – 100.

[2] - ينظر: بذل الإحسان 2/ 101 – تحرير تقريب التهذيب رقم 6829.

[3] - بذل الإحسان 2/ 102.

أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –، فصار الحديث بذلك صحيحا كما قال البخاري في رواية أبي عيسى عنه، والله أعلم".[1]

الخامس: ولأجل ما سبق بيانه فقد صحح هذا الحديث جماعة من الأئمة؛ منهم البخاري، قال أبو عيسى الترمذي: "سألت محمدا عن حديث مالك عن صفوان...؟ فقال: هو حديث صحيح".[2]

كما صححه أيضا: الترمذي فقال "هذا حديث حسن صحيح"، وابن خزيمة، وابن حبان، وابن المنذر، والطحاوي، والدارقطني، والحاكم. وقد قال الحاكم عقب ذكره لرواية من تابع مالكا عن صفوان:

"وإنما حملني على ذلك بأن يعرف العالم أن هذه المتابعات والشواهد لهذا الأصل الذي صدر به مالك كتابه الموطأ، وتداوله فقهاء الإسلام – رضي الله عنهم – من عصره إلى وقتنا هذا، وأن مثل هذا الحديث لا يعلل بجهالة سعيد بن سلمة والمغيرة بن أبي بردة، على أن اسم الجهالة مرفوع عنهما بهذه المتابعات".[3]

كما صححه أيضا: ابن منده، والخطابي، والعقيلي، والبيهقي، وابن حزم، وابن الجوزي...[4]

- تنبيه:

صحح الحافظ ابن عبد البر الحديث، لكن لا من جهة إسناده، وإنما لتلقي الأمة له بالقبول، يقول: "وهو عندي صحيح؛ لأن العلماء تلقوه بالقبول له والعمل به، ولا يخالف في جملته أحد من الفقهاء...".[5]

والخلاصة أن الحديث صحيح لا شك في ذلك باتفاق عامة أهل الحديث.

5/ تعقب الحافظ ابن عبد البر تصحيح الإمام البخاري للحديث بقوله:

"لا أدري ما هذا من البخاري – رحمه الله – ولو كان عنده صحيحا، لأخرجه في مصنفه الصحيح عنده، ولم يفعل، لأنه لا يعول في الصحيح إلا على الإسناد،[6] وهذا الحديث لا يحتج أهل الحديث بمثل إسناده...".[7]

---

[1] - معرفة السنن والآثار 1/ 151، 152.

[2] - العلل الكبير ص 41، 42.

[3] - المستدرك على الصحيحين 1/ 142.

[4] - وقد جمع أسماءهم الشيخ الفاضل أبو إسحاق الحويني فبلغوا ستة وثلاثين إماما... ينظر: بذل الإحسان 2/ 111، 112.

[5] - التمهيد 16/ 218، 219، 221 – والاستذكار 1/ 98.

[6] - أي أن البخاري – رحمه الله – لا يخرج في كتابه الجامع إلا ما صح سنده، وهذا بخلاف أصحاب السنن؛ فإنهم يخرجون من الحديث ما جرى على وفقه العمل ولو كان فيه ضعف، أو ما ضعف إسناده لكن تلقته الأمة بالقبول.

[7] - التمهيد 16/ 218، 219.

وهذا الكلام متعقب؛ فلا يلزم البخاري في كل حديث صححه أن يودعه في جامعه الصحيح، وهو الذي سماه "الجامع المسند الصحيح المختصر من حديث رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وسننه وأيامه"، فهو لم يستوعب الصحيح، وقد قال تلميذه إبراهيم بن معقل النسفي "سمعت البخاري يقول: ما أدخلت في كتابي "الجامع" إلا ما صح، وما تركت من الصحيح حتى لا يطول"، وقد صحح البخاري مئات الأحاديث ولم يودعها في جامعه الصحيح، يقول الحافظ العلائي:

"الذي عليه أئمة أهل الفن قديما وحديثا أن ترك الشيخين إخراجَ حديث لا يدل على ضعفه، ما لم يصرح أحدٌ منهم بضعفه أو جرح رواته، ولو كان كذلك لما صحّ الاحتجاج بما عدا ما في الصحيحين، وقد صحّ عن كل واحد منهما أنه لم يستوعب في كتابه الصحيح من الحديث كلَّه ولا من الرجال الثقات، وقد صحح كل واحد منهما أحاديث سُئل عنها وليست في كتابه".[1]

ثانيا: الدراسة المتنية

ترجمة الصحابي:

أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر – رضي الله عنه -:

هو: الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، أبو هريرة الدَّوْسيُّ اليماني، سيّد الحفاظ الأثبات، حمل عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – علما كثيرا طيبا مباركا فيه، لم يُلحق في كثرته.

كان بالمدينة حتى مات.

اختلف في اسمه على أقوال جمة؛ أرجحها عبد الرحمن بن صخر. كناه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أبا هريرة، والمشهور عنه أنه كُنِّيَ بأولاد هرّة برّيّة. قال: وجدتها، فأخذتها في كُمِّي، فكُنيت بذلك، وقيل كان له هريرةٌ يلعب بها، فكني بها: أبا هِرّ.

حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، فقال البخاري: بلغ عددُ أصحابه ثمانمئة.

أشهرهم: "سعيد بن المسيّب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود"،[2] ومحمد بن سيرين، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وذكوان أبو صالح السمان، وطاووس بن كيسان، وهمام بن منبه، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأمّ الدرداء الصغرى...

---

[1] – ينظر: بذل الإحسان 2/ 110.

[2] – قال ابن شهاب الزهري: "أربعة من قريش وجدتهم بحورا: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

ومن أصحّ الأحاديث ما جاء: عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عنه

عن أبي الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عنه

وعن ابن عون وأيّوب السختياني عن محمد بن سيرين عنه.

كان مقدمه وإسلامه في أول سنة سبع، عام خيبر.

وفي "الصحيحين" عنه قال:

"تزعمون أني أكثرت الرواية عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، والله الموعد، إني كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – على ملء بطني، وإنه حدثنا يوما، وقال: من يبسط ثوبه حتى أقضي مقالتي ثم قبضه إليه لم ينس شيئا سمع مني أبدا، ففعلتُ، فوالذي بعثه بالحق، ما نسيت شيئا سمعته منه"، قال الذهبي:

"وقد كان أبو هريرة وثيق الحفظ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث".

وروى البخاري عنه قال:

"والله إن كنتُ لأعتمد على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجرَ على بطني من الجوع، ولقد قعدت على طريقهم، فمرَّ بي أبو بكر، فسألته عن آية في كتاب الله، ما أسأله إلا ليستتبعني، فمرَّ ولم يفعل، فمرَّ عمر، فكذلك، حتى مرَّ بي رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، فعرف ما في وجهي من الجوع، فقال: أبو هريرة؟ قلتُ: لبيك يا رسول الله، فدخلت معه البيت، فوجد لبنا في قدح، فقال: من أين لكم هذا؟ قيل: أرسل به إليك فلان، فقال: يا أبا هريرة، انطلق إلى أهل الصُّفّة، فادعهم – وكان أهل الصفة أضياف الإسلام، لا أهل ولا مال، إذا أتت رسولَ الله – صلى الله عليه وآله وسلم – صدقةٌ، أرسل بها إليهم، ولم يُصِب منها شيئا، وإذا جاءته هديةٌ، أصاب منها، وأشركهم فيها –، فساءني إرساله إياي، فقلت: كنت أرجو أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها، وما هذا اللبن في أهل الصفة.

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدٌّ، فأتيتهم، فأقبلوا مجيبين، فلما جلسوا قال: خذ يا أبا هريرة، فأعطهم، فأعطي الرجلَ، فيشرب حتى يروى، حتى أتيت على جميعهم وناولته رسولَ الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، فرفع إليَّ رأسه متبسما، وقال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: فاشربْ، فشربتُ، فقال: اشرب، فشربت، فما زال يقول: اشرب، فأشرب، حتى قلت: والذي بعثك بالحق، ما أجد له مساغا، فأخذ فشرب من الفضلة".

قال: وكان أبو سلمة كثيرا ما يخالف ابنَ عباس، فحُرم لذلك من ابن عباس علما كثيرا". تهذيب الكمال 33/ 375 ترجمة أبي سلمة.

مات – رضي الله عنه – سنة سبع وخمسين، ودفن بالبقيع.

مسنده خمسة آلاف وثلاثمئة وأربعة وسبعون حديثا –5374–،[1] اتفقا له على ثلاثمئة وستة وعشرين حديثا –326–، وتفرّد البخاري له بثلاثة وتسعين حديثا –93–، ومسلم بثمانية وتسعين حديثا –98–.[2]

شرح غريب الحديث:

أرماث = جمع رَمَث، وهو خشب يضم بعضه إلى بعض ثم يشد ويركب عليه.[3]

الطَّهُور = بالفتح هو الماء الذي يتطهر به، وبالضم هو التطهر أي الفعل، كالوَضوء والوُضوء، والسَّحور والسُّحور، وهذا هو المشهور، وهو قول جمهور أهل اللغة. وقال سيبويه: الطَّهور بالفتح يقع على الماء والمصدر جميعا.[4]

ميتته = بفتح الميم: اسم لما مات في البحر من حيوانه.[5]

المعنى الإجمالي للحديث:

بينما النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في المسجد إذ جاءه جماعة من بني مدلج، وكانوا يحترفون الصيد في البحر، فسألوه عن مسألة أشكلت عليهم؛ هل يتوضؤون من ماء البحر وهو كثير الملح في الوقت الذي لا يستطيعون فيه حمل الماء العذب ما يكفي للوضوء وللشرب.

فكان من حكمته – صلى الله عليه وآله وسلم – في جوابه أن أجابهم عن مسألتهم، وزادتهم من الفائدة ما هم بحاجة إليه، وهي حل ميتة البحر أيضا.

الفوائد والأحكام:

الحديث فيه العديد من الفوائد والأحكام، هذا بيانها:

1/ فيه فضل طلب العلم والسؤال عن مسائله، وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الحرص على التعلم، وبخاصة تصحيح العبادات.

---

[1] – وهو أحد الصحابة السبعة الذين تجاوز حديثهم الألف، وقد نظمهم بعضهم فقال:

سَبْعٌ من الصّحب فوق الألفِ نَقلُوا من الْحديث عن الْمُخْتارِ خَيْر مُضَرْ

أبو هُرَيْرة، سَعْدٌ، جابر، أنَسٌ صِدِّيقَةٌ، وابنُ عباس، كذا ابْنُ عمَرْ.

[2] – ينظر ترجمته: الاستيعاب 4/ 1768 – حلية الأولياء 1/ 376، 385 – تهذيب الكمال رقم 1654 – وسير أعلام النبلاء 2/ 578.

[3] – النهاية في غريب الحديث والأثر 2/ 219.

[4] – ينظر: النهاية في غريب الحديث 3/ 121 – شرح النووي على مسلم 3/ 99 – فتح الباري 1/ 306.

[5] – النهاية في غريب الحديث 4/ 307.

2/ إباحة ركوب البحر؛ قال الحافظ ابن عبد البر:

"وفي الحديث من الفقه إباحة ركوب البحر، لأن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لو كره ركوبه لنهى عنه الذين قالوا: إنا نركب البحر، وقولهم هذا يدل على أن ذلك كان كثيرا منهم... فلم ينههم عن ركوبه، وهذا عندي؛

إنما يكون لمن سهل ذلك عليه ولم يشق عليه ويصعب به... ولا يجوز عند أهل العلم ركوب البحر في حين ارتجاجه، ولا في الزمن الذي الأغلب منه عدم السلامة فيه والعطب والهلاك، وإنما يجوز عندهم ركوبه في زمان تكون السلامة فيه الأغلب.

وفي قوله عز وجل: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) (يونس22)، وقوله تعالى: (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ) (البقرة164) ما فيه كفاية ودلالة واضحة في إباحة ركوب البحر، إذا كان كما وصفنا، وبالله توفيقنا".[1]

وما جاء عن بعض السلف من كراهة ركوب البحر فإنما ذلك على سبيل الاحتياط وترك التغرير بالْمُهج في طلب الاستكثار من الدنيا. والله أعلم

3/ في الحديث أن ماء البحر طهور؛ أي يرفع الحدث ويزيل النجس، طاهر في نفسه مطهر لغيره، صالح للعبادات وللعادات، قال ابن عبد البر:

"وقد أجمع جمهور العلماء، وجماعة أئمة الفتيا بالأمصار من الفقهاء؛ أن البحر طهور ماؤه، وأن الوضوء جائز به، إلا ما روي عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص من كراهية الوضوء به، ولم يتابعهما أحد من فقهاء الأمصار على ذلك، وليس في أحد حجة مع خلاف السنة".[2]

4/ والمياه أقسام:

أولها الماء المطلق كماء المطر والثلج والبرد، وماء البحر، والماء المتغير بطول المكث. وهو طاهر مطهر اتفاقا.

الثاني: الماء الذي خالط طاهر، والصحيح فيه أنه طهور ما بقي على إطلاقه، فإن قُيّد "ماء ورد" مثلا، خرج عن الطهورية وبقي صالحا للعادات فقط. وهو مذهب طائفة من السلف وبه قال أبو حنيفة والشافعي...[3]

---

[1] - التمهيد 16/ 221، 222.

[2] - التمهيد 16/ 221.

[3] - ينظر: المحلى 1/ 199، 200 – فقه السنة 1/ 19.

الثالث: الماء المستعمل كفضل الغسل والماء المتقاطر من الأعضاء... فهذا طاهر مطهر عملا بالأصل وبالأدلة الدالة على أن الماء طهور وهو قول جماعة من السلف والخلف كسفيان الثوري، وأبي ثور، والزهري، وإبراهيم النخعي، ورواية عن مالك والشافعي... وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية...[1]

الرابع: الماء الذي لاقته نجاسة، وهي من المسائل التي كثر فيها النزاع قديما بين أهل العلم، والذي تدل عليه الأدلة من الآثار والمعقول ما عليه أهل الحجاز في هذا الباب؛ ابن شهاب، ومالك، والأوزاعي، والبخاري... ؛ أن الماء لا ينجس إلا إذا تغير أحد أوصافه؛ ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تقع فيه، قل الماء أو كثر... يقول الحافظ ابن عبد البر:

"وروى أهل المدينة عن مالك أن الماء لا تفسده النجاسة التي تحل فيه، قليلا كان أو كثيرا، إلا أن تظهر فيه وتغيّره، وإن لم يكن ذلك فهو طاهر على أصله. وهو قول ابن وهب من أصحاب مالك المصريين وإلى هذا مال إسماعيل وأبو الفرج والأبْهَري وسائر المالكيين البغداديين، وبه قالوا وله احتجوا وإليه ذهبوا... وهو قول الأوزاعي، والليث، والحسن بن صالح... وهو الصحيح عندنا في النظر وثابت الأثر".[2]

ويقول ابن القيم – رحمه الله –:

"وقول أهل الحجاز هو الصواب الذي تدل عليه الأصول والنصوص والمعقول...".[3]

5/ وفي الحديث من الفقه أن المسافر إذا لم يكن معه من الماء إلا ما يكفيه لشربه، وما لا غنى به عنه لشَفَتِه، أنه جائز له أن يتيمم، ويترك ذلك الماء لنفسه حتى يجد الماء. وليس ملزما بحمل الكثير من الماء معه للوضوء لإقرار النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – السائلين على ذلك.[4]

6/ قوله – عليه الصلاة والسلام –: "الحل ميتته":

قال أبو بكر بن العربي: "فيه بيان أن البحر كله بركة ورحمة؛ ماؤه طهور، وميتته حلال، وظهره جواد، وقعره جواهر"،[5] وقال ابن عبد البر:

"قال مالك: يؤكل ما في البحر من السمك والدواب وسائر ما في البحر من الحيوان، وسواء اصطيد، أو وُجِدَ ميتا طافيا وغير طاف، قال: وليس شيء من ذلك يحتاج إلى ذكاة للحديث... وهو قول ابن أبي ليلى، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي...".[1]

---

[1] – ينظر: الفتاوى الكبرى 1/ 19 – والروضة الندية 1/ 30، 31.

[2] – الاستذكار 2/ 100- 105.

[3] – إعلام الموقعين 1/ 392.

[4] – ينظر: التمهيد 16/ 223 – و"شرح الإلمام" لابن دقيق العيد 1/ 222.

[5] – عارضة الأحوذي 1/ 89.

ومن الحجة لهذا القول أيضا:

قوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ) (المائدة96)، فقال عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو هريرة... قالوا: طعامه = ما ألقى وقذف، وعن ابن عباس قال: طعامه = ميتته، وعن أبي بكر الصديق قال: كل دابة في البحر فقد ذبحها الله لكم.[2]

وقال القرطبي: "قوله تعالى (وطعامه) الطعام لفظ مشترك يطلق على كل ما يطعم... وهو هنا عبارة عمّا قذف به البحر وطفا عليه، وهو قول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين...

وأصح ما في هذا الباب من جهة الإسناد حديث جابر في الحوت الذي يقال له (العَنْبَر)، وهو من أثبت الأحاديث [ففي الصحيحين عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال:

بعثنا رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ثلاثمئة راكب، وأميرنا أبو عبيدة؛ نرصد عيرا لقريش، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الْخَبَطَ، فسُمّي جيش الخبط، وألقى البحر حوتا يقال له العنبر فأكلنا نصف شهر، وادّهنا بِوَدَكِه حتى صلحت أجسامنا، قال: فأخذ أبو عبيدة ضِلْعًا من أضلاعه فنصبه فمرّ الراكب من تحته...

فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال: كلوا، رزقا أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم، فأتاه بعضهم بعضو فأكله].[3]

فهذه الآثار عن الصحابة ترد قول من كره ذلك، وتخصص عموم الآية (قل لا أجد فيما أوحي إلي... ميتة)، وهو حجة للجمهور...".[4]

7/ وفي الحديث من الفوائد:

إجابة السائل بأكثر من سؤاله: فقد بوب الإمام البخاري – رحمه الله – لهذه المسألة في كتاب العلم من جامعه الصحيح بقوله: "باب: من أجاب السائل بأكثر مما سأله.

ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – أن رجلا سأله: ما يلبس المحرم؟ فقال: لا يلبس القميص ولا العمائم...".[5]

---

[1] – التمهيد 16/ 223.

[2] – ينظر: التمهيد 16/ 224.

[3] – ينظر الحديث في صحيح البخاري 8/ 98 رقم (4361، 4362) (الفتح).

[4] – الجامع لأحكام القرآن 6/ 318، 320 – والمحلى لابن حزم 7/ 393، 395..

[5] – الجامع الصحيح رقم 134.

قال ابن الْمُنَيِّر: "موقع هذه الترجمة التنبيه على أن مطابقة الجواب للسؤال غير لازم، بل إذا كان السبب خاصا والجواب عاما جاز، وحمل الحكم على عموم اللفظ لا على خصوص السبب، وأنه جواب وزيادة فائدة".[1]

وقال ابن دقيق العيد: "من فوائده: الزيادة في الجواب عن السؤال.

قال القاضي أبو بكر بن العربي "قوله: الحل ميتته: زيادة على الجواب، وذلك من محاسن الفتوى، بأن يأتي بأكثر مما يسأل عنه تتميما للفائدة، وإفادة لعلم آخر غير مسؤول عنه".

وقد يؤكد هذا بظهور الحاجة إلى هذا الحكم، لأن من توقف في طهورية ماء البحر، فهو عن العلم بحل ميتته – مع ما تقدم من تحريم الميتة – أكثر توقفا، فالسؤال عن الحكم الأول يظهر الحاجة إلى معرفة الحكم الثاني".[2]

هذا ما تيسر جمعه من فوائد وأحكام من هذا الحديث والله أعلم.

الْحديث الثّالث

نص الحديث

قال الإمامان البخاري ومسلم:

"حدثنا هُدبة بن خالد الأزدي حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن معاذ بن جبل رضي الله عنهما قال: "بينما أنا رَديفُ النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – على حمار – يقال له: عُفَيْر – ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرَّحْل، فقال:

يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال:

هل تدري ما حق الله على العباد؟، قلت: الله ورسوله أعلم، قال:

فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يعذبَهم.

---

[1] – فتح الباري رقم 134.

[2] – شرح الإلمام 1/ 291.

قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا".

الدراسة الإسنادية

1/ الحديث رواه:

البخاري في "كتاب الجهاد والسير/ باب: اسم الفرس والحمار" رقم (2856)، وفي "كتاب اللباس/ باب: إرداف الرجل خلف الرجل" رقم (5967)، وفي "كتاب الاستئذان/ باب: من أجاب بلبيك وسعديك" رقم (6267)، وفي "كتاب الرقاق/ باب: من جاهد نفسه في طاعة الله" رقم (6500)، وفي "كتاب التوحيد/ باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمّته إلى توحيد الله تبارك وتعالى" رقم (7373).

ومسلم في "كتاب الإيمان/ باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، وباب: حق الله على العباد وحق العباد على الله (نووي)" 1/ 230، 231 رقم (30).

والترمذي في "كتاب الإيمان/ باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة" 5/ 26 رقم (2643) وقال "هذا حديث حسن صحيح".

وأبو داود في "كتاب الجهاد/ باب: في الرجل يسمي دابته" رقم (2559).

وابن ماجه في "كتاب الزهد/ باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة" 2/ 1435 رقم (4296).

والنسائي في "الكبرى" رقم (5877).

وأحمد في "المسند" رقم (21991، 21994، 21995، 22004، 22040)/ طبعة شعيب.

وابن منده في "الإيمان" رقم (107، 108).

وابن حبان في "صحيحه" رقم (210).

كلّهم من طرق عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

2/ فيه من الفوائد رواية صحابي عن صحابي؛ أنس بن مالك عن معاذ بن جبل.

كما رواه عن معاذ أيضا: عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن ميمون، والأسود بن هلال وهم من ثقات التابعين.

3/ والحديث أخرجه البخاري في "كتاب العلم/ باب: من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا" رقم (128، 129) – والنسائي – وأحمد (21993، 22058، 22097):

من حديث "هشام الدستوائي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - - ومعاذ رديفه على الرحل - قال:

يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، (ثلاثا). قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار.

قال يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلوا.

وأخبر بها معاذ عند موته تأثما".

فسياق الحديث يشعر بأن القصة واحدة وهو ما جنح إليه أكثر أهل العلم، لكن لفظه فيه مغايرة واضحة توحي بتعدد القصة، ولهذا جنح الحافظ ابن حجر – رحمه الله – وقبله الحافظ ابن الصلاح إلى أنهما حديثان مختلفان.[1] والله أعلم

الدراسة المتنية

ترجمة الصحابي

هو[2]: "معاذ بن جبل بن عمرو أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي.

الإمام المدني البدري، شهد بيعة العقبة وهو شاب أمرد.

روى عنه ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس، وأبو ثعلبة الخشني، وابن أبي ليلى، وعمرو بن ميمون، ومسروق... وآخرون.

كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -؛

ففي صحيح البخاري "باب: القُرّاء من أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآن على عهد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار؛ أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد (أحد عمومتي).

... وعن مسروق قال: ذكر عبد الله بن عمرو عبدَ الله بن مسعود فقال:

لا أزال أحبّه، سمعت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول:

خذوا القرآن من أربعة؛ من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبيّ بن كعب".[3]

وكان - رضي الله عنه - من أكابر علماء الصحابة، وقد شهد له النبي - عليه الصلاة والسلام - بذلك فعن أنس بن مالك مرفوعا:

"أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة".[4]

---

[1] - الفتح 11/ 411 رقم (6500).

[2] - ينظر ترجمته في: تاريخ خليفة بن خياط 97، 138 – الاستيعاب 10/ 104 – حلية الأولياء 1/ 228، 244 - وسير أعلام النبلاء للذهبي 1/ 443- 461.

[3] - الجامع الصحيح 9/ 58 رقم (4999، 5003)

[4] - رواه أحمد 3/ 184، 281 – والترمذي (3790، 3791) وصححه – وابن ماجه (154) وإسناده صحيح.

ولهذا بعثه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - داعية لتعليم الناس الإسلام وشرائعه إلى اليمن كما في قصته المشهورة وهي في الصحيحين.

ومن عظيم فضائله - رضي الله عنه - ما رواه هو:

"أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لقيه فقال له: يا معاذ إني لأحبك في الله، قلت: وأنا والله يا رسول الله أحبك في الله، قال: أفلا أعلمك كلمات تقولهن دبر كل صلاة: ربّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".[1]

كان - رضي الله عنه - من أحسن الناس وجها، وأحسنهم خلقا، وأسمحهم كفّا، عالما فاضلا، توفي سنة ثمان عشرة في طاعون عَمْواس بالشام وهو ابن أربع وثلاثين سنة.

شرح غريب الحديث

"رديف، رِدْفُ" = الراء والدال والفاء أصل يدل على اتباع الشيء، والترادف التتابع،[2] والردف والرديف الراكب خلف الراكب بإذنه، ورِدف كل شيء مؤخره، ورَدِفْتُ الرجلَ إذا ركبتُ وراءه، وأرْدَفْتُه إذا أركبتَه وراءك.[3]

"مؤخرة الرحل" = هو للبعير كالسرج للفرس، وهي العود الذي يجعل خلف الراكب يستند إليه. وهذه من القرائن الدالة على التعدد لأن الرحل لا يستعمل إلا مع البعير، أما الحمار فلا، أو يكون المعنى قدر مؤخرة الرحل إذا اتحدت القصة كما قال النووي.[4]

"لبيك" = لبيك من التلبية وهي إجابة المنادي، وهو مأخوذ من لَبَّ بالمكان وألبّ به إذا أقام به ولم يفارقه، ولم تستعمل إلا على لفظ التثنية في معنى التكرير: أي إجابة بعد إجابة.[5]

"وسعديك" = أي ساعدتُ طاعتك مساعدةً بعد مساعدة، وإسعادا بعد إسعاد.[6]

"حق" = الحق هو الحظ والنصيب، وحق العباد أي ثوابهم الذي وعدهم الله به، وحق الله ما يستحقه على عباده مما جعله محتما ولازما عليهم.[7]

---

[1] - رواه: أبو داود (1522) – والنسائي 3/ 53 – والحاكم 3/ 273 وصححه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

[2] - "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس ص 448.

[3] - النووي على مسلم 1/ 230 - وفتح الباري 10/ 489 رقم (5967).

[4] - شرحه على مسلم 1/ 232.

[5] - النهاية في غريب الحديث 4/ 187 – والفتح 1/ 298 رقم (128).

[6] - النهاية في غريب الحديث 2/ 310 – والفتح 1/ 298 رقم (128).

[7] - النهاية في غريب الحديث 1/375، 376 – والفتح 11/ 412 رقم (6500).

المعنى الإجمالي للحديث

كان النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حريصا على تعليم أصحابه دينهم ومن بعدهم أمته، ولذلك تنوعت أساليبه في التعليم؛ فتارة في المسجد، وتارة بالسؤال، وأخرى بتعليم أفراد الصحابة كما هو الحال هنا...

فبينما هو معاذ لوحدهما علّمه - عليه الصلاة والسلام - أعظم وأهمّ واجب على المكلف ألا وهو حق الله سبحانه وتعالى عليهم؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وترغيبا للعباد للقيام بهذا الواجب العظيم بيّن له في المقابل الجزاء الكبير الذي لهم عند ربهم إن هم فعلوا ذلك وهو ألا يعذبهم، وينالوا رضوانه ومغفرته...

ولأن معاذا فهم قيمة هذه البشرى ويُسْرها على من يسرها الله عليه، أحبّ أن يبشر الناس رغبة في تعليمهم، فنهاه - صلى الله عليه وآله وسلم - خشية أن يتكلوا ويتهاونوا عن العمل.

تحليل الحديث وبيان أحكامه وفوائده

1/ ومن أهم الفوائد المستفادة من الحديث ما بوّب به الإمام البخاري عليه في كتاب التوحيد فقال "باب: ما جاء في دعاء النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أمّته إلى توحيد الله تبارك وتعالى"، فموضوع التوحيد هو المحور الرئيس الذي كان يدندن حوله النبي – عليه الصلاة والسلام – حياته كلها إلى أن التحق بالرفيق الأعلى.

ولأهمية موضوع التوحيد فقد عُني به - صلى الله عليه وآله وسلم - كثيرا، وتظهر تلك العناية في نقاط عدة، أهمها:

- أنه دعوة الرسل كلهم إلى أقوامهم:

قال سبحانه وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء25)، فالدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى كان معلماً واضحا لا خفاء فيه عند جميع الرسل والأنبياء.

- أنه دعوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم - من بعثته إلى وفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى:

فقد كان يقول لقريش: "قولوا كلمة تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم"...

وقوله لعمّه أبي طالب عند وفاته "قل لا إله إلا الله؛ كلمة أحاجّ لك بها عند الله يوم القيامة"...

ولما بعث النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – معاذا إلى اليمن قال له:

"إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله – شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله – فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة... الحديث".

وكان من آخر ما قاله – صلى الله عليه وآله وسلم - قُبيل وفاته:

ولهذا بعثه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - داعية لتعليم الناس الإسلام وشرائعه إلى اليمن كما في قصته المشهورة وهي في الصحيحين.

ومن عظيم فضائله - رضي الله عنه - ما رواه هو:

"أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لقيه فقال له: يا معاذ إني لأحبك في الله، قلت: وأنا والله يا رسول الله أحبك في الله، قال: أفلا أعلمك كلمات تقولهن دبر كل صلاة: ربّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".[1]

كان - رضي الله عنه - من أحسن الناس وجها، وأحسنهم خلقا، وأسمحهم كفّا، عالما فاضلا،

توفي سنة ثمان عشرة في طاعون عَمْواس بالشام وهو ابن أربع وثلاثين سنة.

شرح غريب الحديث

"رديف، رِدْفُ" = الراء والدال والفاء أصل يدل على اتباع الشيء، والترادف التتابع،[2] والردف والرديف الراكب خلف الراكب بإذنه، ورِدف كل شيء مؤخره، ورَدِفْتُ الرجلَ إذا ركبتُ وراءه، وأَرْدَفْتَه إذا أركبتَه وراءك.[3]

"مؤخرة الرحل" = هو للبعير كالسرج للفرس، وهي العود الذي يجعل خلف الراكب يستند إليه. وهذه من القرائن الدالة على التعدد لأن الرحل لا يستعمل إلا مع البعير، أما الحمار فلا، أو يكون المعنى قدر مؤخرة الرحل إذا اتحدت القصة كما قال النووي.[4]

"لبيك" = لبيك من التلبية وهي إجابة المنادي، وهو مأخوذ من لَبَّ بالمكان وألبّ به إذا أقام به ولم يفارقه، ولم تستعمل إلا على لفظ التثنية في معنى التكرير: أي إجابة بعد إجابة.[5]

"وسعديك" = أي ساعدتُ طاعتك مساعدةً بعد مساعدة، وإسعادا بعد إسعاد.[6]

"حق" = الحق هو الحظ والنصيب، وحق العباد أي ثوابهم الذي وعدهم الله به، وحق الله ما يستحقه على عباده مما جعله محتما ولازما عليهم.[7]

---

[1] - رواه: أبو داود (1522) – والنسائي 3/ 53 – والحاكم 3/ 273 وصححه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

[2] - "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس ص 448.

[3] - النووي على مسلم 1/ 230 - وفتح الباري 10/ 489 رقم (5967).

[4] - شرحه على مسلم 1/ 232.

[5] - النهاية في غريب الحديث 4/ 187 – والفتح 1/ 298 رقم (128).

[6] - النهاية في غريب الحديث 2/ 310 – والفتح 1/ 298 رقم (128).

[7] - النهاية في غريب الحديث 1/375، 376 – والفتح 11/ 412 رقم (6500).

"لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد..."

- والتوحيد هو أوّل واجب على المكلف:

وهذا مستفيض عنه – صلى الله عليه وآله وسلم -، أن كل من أراد الدخول في الإسلام فعليه أن ينطق بالشهادتين، ومن تلك اللحظة يصبح مسلما، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، ولو مات في تلك الساعة فهو من أهل الجنة اتفاقا.

- والتوحيد هو الركن الأساس لهذا الدين:

كما في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما -: "بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان".

ومعناه يعدل ثلث القرآن؛ فقد جاء في فضل سورة الإخلاص أنها تعدل ثلث القرآن، وهذا لمعنى التوحيد الذي تضمنه السورة كلها.

- والتوحيد هو العاصم للدم والمال:

كما في حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - قال:

"أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك **عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام** وحسابهم على الله تعالى".

وكذلك قصة أسامة بن زيد – رضي الله عنهما - عندما قتل الرجل الذي قال: لا إله إلا الله، فعاتبه النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وقال "أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟...".

- وهي آخر ما يتكلم به المكلف:

فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، وقد صحت في هذا المعنى عدة أحاديث منها؛

حديث معاذ بن جبل أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

"من كان آخر كلامه؛ لا إله إلا الله، دخل الجنة". رواه أبو داود، والحاكم بسند صحيح.

ونحوه من حديث عثمان بن عفان في صحيح مسلم أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

"من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة".

وعند مسلم أيضا من حديث أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

"أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة".

- وهي دعوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم - إلى الملوك:

فمن ذلك ما كاتب به النبي – صلى الله عليه وآله وسلم - ملكَ الروم هرقل:

"أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، ويا (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ

وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران64)

- وهي الرسالة التي حملها الصحابة الفاتحون إلى الناس أجمعين:

فعندما توجه المسلمون إلى الفرس، دخل قائدهم ربعي بن عامر على قائد الفرس رستم، فقال له "ما الذي جاء بكم؟"، فقال له ربعي: "إن الله ابتعثنا لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده...".

2/ قوله "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا" =

"العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء العهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم... والدعاء والذكر والقراءة...

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه... وأمثال ذلك: هي من العبادة لله".[1]

ذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة لله سبحانه وتعالى، التي خلق الخلق من أجلها: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات 56)، وبها أرسل جميع الرسل، وأنزلت كل الكتب، فالدين كله داخل في العبادة، ودين الله عبادته وطاعته والخضوع له.

والعبادة تتضمن غاية الذل والخضوع لله، وغاية المحبة له، مع الخوف والرجاء...

والحديث من أصرح الأدلة أن أعظم حق لله سبحانه وتعالى على عباده هو عبادته وحده لا شريك له، وأن الجزاء الموعود به في الحديث إنما هو لمن حقق العبادة بهذا الفهم والقيد.

3/ قوله "حقّ العباد على الله ألا يعذبهم" وفي رواية "أن يدخلهم الجنة" =

فحق العباد على الله هو ما وعدهم به من الثواب والجزاء والنجاة من العذاب، وهو حق أوجبه الله سبحانه وتعالى على نفسه، ووعد به عباده الصالحين ومن أوفى بعهده من الله. وهو حق إنعام وتفضل ورحمة، لا حق جزاء ومقابلة، والأحاديث في هذا الباب واضحة وصريحة، كقوله - صلى الله عليه وآله وسلم -:

"لن يُنجي أحداً منكم عملُه، قال رجل: ولا إياك يا رسول الله؟ قال: ولا إيّاي، إلا أن يتغمدني الله منه

---

[1] - "كتاب العبودية" لابن تيمية ص 5، 6.

برحمة، ولكن سدّدوا وأبشروا".[1]

4/ قوله "يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا" =

في الحديث مراعاة الحكمة في الدعوة إلى دين الله وتعليم الناس؛ فيستعمل الترغيب في موضعه والترهيب في موضعه...

ولهذا كان من حسن فهم الإمام البخاري للسنة النبوية تبويبه على الحديث بقوله "باب: من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا".

وقال الحافظ ابن رجب "قال العلماء: يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا، أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس لئلا يَقْصُر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهادا في العمل، وأما من لم يبلغ منزلته فلا يؤمن أن يقصر اتكالا...".[2]

ومفهوم الحديث أن من كان ذا فهم ولا يخشى عليه من الالتباس وسوء الفهم، أنه يُعلّم مثل هذه المسائل، ولا بأس في ذلك كما فعل النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – مع معاذ هنا.

5/ ومن المعاني البديعة المستفادة من الحديث ما بوّب به الإمام البخاري عليه في "كتاب الرِّقاق"، فقال: "باب: من جاهد نفسه في طاعة الله"؛

وهذا المعنى مستفاد من قوله "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"، فهذا الحق لا يتأتى تأديته إلا بمجاهدة النفس، وحملها على اتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه من شبهات وشهوات، وجهاد النفس أربع مراتب:

حملها على تعلم أمور الدين، ثم حملها على العمل بذلك، ثم حملها على تعليم من لا يعلم والدعاء إلى توحيد الله، ثم الصبر على مشاق الدعوة وابتلاآت الناس.

وجهاد النفس هو أول مراتب الجهاد وأعظمها على المكلفين، وأقوى معين على ذلك المرتبةُ الثانية وهي جهاد الشيطان، فإذا قوي العبد على ذلك سَهُل عليه المرتبة الثالثة وهي جهاد أعداء الدين من منافقين ومشركين.[3]

ومَنْ فَقِهَ هذه المراتب اتضح له السبيل الحق، وانزاحت عنه الكثير من الشبهات في باب الدعوة إلى الله

---

[1] – رواه مسلم في "كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله (نووي)" رقم (2816) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

[2] – ذكره ابن حجر في الفتح 11/ 413 رقم 6500.

[3] – ينظر لهذه المراتب: زاد المعاد – والفتح 11/ 410، 411 رقم (6500).

وخدمة الإسلام والسعي لتمكينه وتجديده.

6/ والحديث من نصوص الترغيب والوعد باستحقاق الجنة لمن مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولا تعارض بينه وبين نصوص الوعيد والتي فيها الوعيد بالنار والعذاب على من فعل بعض المعاصي وكبائر الذنوب، فالحق وسبيل الراسخين في العلم؛ هو الجمع بين هذه النصوص كما هو مسلك أهل السنة وأصحاب الحديث.

7/ وفي الحديث أيضا من الفوائد:

- مشروعية تسمية الدواب كالحمار، والخيل، والإبل... بأسماء تخصها غير أسماء أجناسها.

- مشروعية إرداف الرجل خلف الرجل، وأنه لا حرج في ذلك، وكذلك ثبت في صحيح السنة إرداف المرأة لكن خلف الرجل المحرم.

وكذلك جواز ركوب الإثنين على حمار.

8/ مشروعية الإجابة بـ"لبيك وسعديك"، وقد صحت فيها عدة وقائع من الصحابة - رضي الله عنهم - معه - صلى الله عليه وآله وسلم -، وهي تدل على كمال أدبِهم، واستجابتهم لطاعة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، وسرعة امتثال أمره وخدمته.

9/ وفيه تواضع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بركوبه على الحمار، والتواضع خلق رفيع، وأمارة التواضع خضوع العبد لصولة الحق، والانقياد لها، فلا يقابلها بصولة عليها، بل يتلقى سلطان الحق وبرهانه بالخضوع له، والذل والانقياد، والدخول تحت طاعته بحيث يكون الحق متصرفا فيه تصرف السيد في مملوكه، وعكسه الكبر الذي هو دفع الحق إنكارا، وترفعا وتجبرا، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال:

قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

"ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعَفْوٍ إلا عزّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله".[1]

أما الكبر فهو خلق ذميم، وهو خلق الجبابرة والمعاندين وأعداء الحق، ولهذا جاء فيه الوعيد الشديد، فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال:

قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

"لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر، فقال رجلٌ: إن الرجل يحب أن يكون ثوبُه حسنا، ونَعْلُه حسنة؟ قال:

---

[1] - صحيح مسلم "كتاب البر والصلة والآداب/ باب: استحباب العفو والتواضع (نووي)" 16/ 141.

إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَرُ الحقّ وغمْطُ الناس".[1]

أي دفع الحق وردّه على قائله، واحتقار الناس وازدراؤهم.

10/ وفي الحديث فضل معاذ: إذ خصّه النبي – عليه الصلاة والسلام – ببعض العلم. وفيه حسن أدبه – رضي الله عنه – في القول بردّه لم لَمْ يحط بحقيقته إلى علم الله ورسوله.

11/ وفيه تكرار الكلام لتأكيده والاهتمام بما يخبره وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه، وهذا هدي نبوي في التعليم، فقد كان – صلى الله عليه وآله وسلم - يكرر الحديث ليُفهَم عنه وبخاصة إذا كان أمرا مهما؛

قال الإمام البخاري: "كتاب العلم/ باب: من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها.

وقال ابن عمر: قال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – "هل بلغت؟ ثلاثا...".

ثم روى من حديث أنس – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم -:

"أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه...".[2]

- وفيه عدم جواز كتمان العلم والخوف من ذلك، ولذلك حدّث معاذ – رضي الله عنه – بالحديث قبيل موته خوفا من الوقوع في إثم كتمان العلم.

12/ وفيه أن الاتكال وترك العمل والاجتهاد فيه، أو تمني على الله الأماني والتعلق برحمة الله ومغفرته ليس من هدي الإسلام، بل حقيقة الإسلام الاجتهاد في العلم والعمل، مع التوكل على الله سبحانه وتعالى، والرجاء في ثوابه ومغفرته وتجاوزه عن عباده، فيجمع العبد في عبادته بين المحبة، والخوف، والرجاء.

هذا ما تيسر جمعه من فوائد في هذا الحديث، والله أعلم.

الحديث الرابع

نص الحديث:

قال الإمام مسلم بن الحجاج:

"حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان بن عيينة عن سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي عن تَميمٍ بن أَوْسٍ الدّاري رضي الله عنه قال:

---

[1] - صحيح مسلم رقم (91).

[2] - الجامع الصحيح 1/ 248، 249 رقم (94، 95).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"ألا إنّ الدينَ النّصيحة، ألا إن الدين النصيحة، ألا إنّ الدين النصيحة، قالوا: لِمَنْ يارسول الله؟ قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامّتهم".**

الدراسة الإسنادية

1/ الحديث رواه:

مسلم 2/ 37 "كتاب الإيمان/ باب: الدين النصيحة (نووي)".

وأحمد 4/ 102.

والنسائي 7/ 156 رقم (4199، 4200) "كتاب البيعة/ باب: النصيحة للإمام".

وأبو داود في "كتاب الأدب/ باب: في النصيحة" رقم (4944).

وابن حبان (4574، 4575) "باب: ذكر الأخبار عمّا يجب على المرء من لزوم النصيحة في دين الله لنفسه وللمسلمين عامة"/ "كتاب السير (ابن بلبان)".

كلهم من طرق: سفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وزهير بن معاوية، وروح بن القاسم جميعا عن: سهيل بن أبي صالح السمان عن عطاء بن يزيد الليثي عن تميم الداري... به.

2/ وللحديث إسناد ثان عن عطاء؛ يرويه مسلم والنسائي وابن حبان من طريق:

"سفيان بن عيينة حدثنا عمرو بن دينار عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح. قال (القائل هو سفيان): ثم لقيت سهيلا فقلت له: أرأيت حديثا كان يحدث عمرُو عن القعقاع عن أبيك، سمعتَه من أبيك؟ قال: سمعته من الذي سمعه منه أبي؛ صديقٌ لأبي كان يأتي من الشام يقال له: عطاء بن يزيد الليثي سمعته أخبر ذلك عن تميم الداري... الحديث".[1]

وهو صريح في أن الحديث يرويه عطاء عن تميم وحدّث به أبا صالح السمان، ثم سمعه منه ابنه سهيل هكذا.

3/ بينما وقع عند النسائي:

"حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة...".

وعنده أيضا "حدثنا إسماعيل بن جعفر عن ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم وعن سمي وعن عبيد الله بن مقسم عن أبي صالح عن أبي هريرة...".

فخالف ابنُ عجلان عمرو بن دينار وسلك الجادة، مما يدل على وهمه، يؤكد ذلك اختلاف تلاميذه عنه

---

[1] - مسلم 2/ 36 – والنسائي رقم (4199) - وابن حبان رقم (4575).

مما يدل على اضطرابه فيه. والله أعلم

قال الحافظ ابن حجر: "وقد روي حديث النصيحة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة، وهو وهم من سهيل أو ممن روى عنه، قال البخاري في تاريخه: لا يصح إلا عن تميم، ولهذا الاختلاف على سهيل لم يخرجه في صحيحه".[1]

4/ كما وقع في رواية مسلم فائدة ثانية وهي أن سفيان قال:

"قلت لسهيل: إن عمرا حدثنا عن القعقاع عن أبيك، قال: ورجوت أن يسقط عني رجلا. قال: فقال سمعته من الذي سمعه منه أبي كان صديقا له بالشام...". أي أن الإسناد الأول نازل بالنسبة لسفيان فكان يتمنى أن يجده بعلو عن سهيل بدرجة واحدة، فإذا به يعلو فيه بدرجتين.

فالأول:سفيان عن عمرو بن دينار عن القعقاع عن أبي صالح عن عطاء...

والثاني: سفيان عن سهيل عن عطاء...

5/ والحديث لم يخرجه البخاري وإنما علقه في "كتاب الإيمان/ باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"، وقوله تعالى (إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ) (التوبة91)" ثم روى حديث جرير بن عبد الله البجلي...[2]

- معنى الحديث المعلق، ولمحة عن معلقات الإمام البخاري في صحيحه، في (الحصة التطبيقية).

الدراسة المتنية

ترجمة الصحابي

هو:[3] "أبو رُقيّة تَميم بن أوس بن خارجة الدّاري الفلسطيني.

وفد تميمٌ سنة تسع فأسلم وكان نصرانيا، وحدّث عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر بحديث الجساسة في أمر الدجال؛

وهو حديث ترويه فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال:

"ليلزم كل إنسان مصلاه، قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميما الدّاري كان رجلا نصرانيا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثا وافق

---

[1] - فتح الباري 1/ 182.

[2] - الجامع الصحيح رقم (57).

[3] - ينظر: طبقات ابن سعد 7/ 408 – وأسد الغابة 1/ 256 – والإصابة 1/ 304 – والسير 2/ 442.

الذي كنتُ أحدثكم عن مسيح الدجال؛ حدثني أنه ركب سفينة... القصة بطولها".[1]

حدث عنه ابن عباس، وأنس بن مالك، وعطاء بن يزيد الليثي، وشهر بن حوشب، وآخرون.

كان أول من قصّ، استأذن عمر، فأبى عليه، فلما أكثر عليه قال: ما تقول؟ قال: أقرأ عليهم القرآن، وآمرهم بالخير، وأنهاهم عن الشر، قال عمر: ذلك الربح... فأذن له.

لم يزل بالمدينة إلى أن قتل عثمان فتحول إلى الشام، له عدة أحاديث، ومسنده ثمانية عشر حديثا.

كان رضي الله عنه عابدا، تلاء لكتاب الله تعالى، كثير التهجد، قام ليلة بآية يرددها ويبكي، وهي قوله تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) (الجاثية21).

مات رضي الله عنه سنة أربعين".

شرح غريب الحديث

النصيحة = النصح في اللغة: الْخُلوص، يقال: نصحته، ونصحت له، ونصحتُ العسلَ: إذا خلصته من الشمع، وناصِحُ العسل خالصه الذي لا يتخلله ما يشوبه. والنصح والنصيحة خلاف الغشّ.[2]

و"النصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة: هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يُعَبَّر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها".[3] كما قالوا في الفلاح: ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه.[4]

أئمة = جمع إمام، والمقصود الولاة والحكام، وقد يدخل في المعنى أهل العلم أيضا.

المعنى الإجمالي

تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث الوجيز البليغ مبينا معنى الدين الذي بعث به وهو دين الإسلام، فبين لأصحابه أن الدين هو النصيحة، وكرر ذلك ثلاثا على عادته - عليه الصلاة والسلام - في المسائل المهمة كي ينتبه لها الصحابة، ولأنه أجمل في القول، سأله الصحابة عن معنى هذا الإجمال؛

ففصل لهم - صلى الله عليه وآله وسلم - ببيان أن النصيحة في الدين إنما تكون لله، ولكتابه، ولرسوله،

---

[1] - رواه مسلم في "كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب: قصة الجساسة" رقم (2942) – وأحمد 6/ 373، 374.

[2] - ينظر: "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس ص 1030 - و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير الجزري 5/ 52 – و"جامع العلوم والحكم" لابن رجب 1/ 219.

[3] - ابن الأثير الجزري: "النهاية في غريب الحديث والأثر" 5/ 52.

[4] - النووي "شرحه على مسلم 2/ 37.

ولأئمة المسلمين، وعامّتهم؛ فدين الإسلام أساسه الإخلاص والصفاء والصدق مع الله سبحانه وتعالى، ومع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومع المسلمين، راعيهم ورعيّتهم، وعدم غشّ وخداع أيّ واحد منهم.

الفوائد والأحكام المستفادة

1/ قوله "الدين النصيحة" =

معناها أن عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله "الحج عرفة" أي عماده ومعظمه عرفة... والنصيحة قد سبق القول فيها أنها كلمة يعبر بها عن جملة: هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يُعَبَّر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها.

2/ والنصح من أبرز وظائف الرسل وأجلّها؛ فما من رسول ولا نبي بعثه الله تعالى إلا واجتهد في نصح أمته، وإبلاغهم دعوة الحق، وهدايتهم سبيل الرشاد... وإسداء النصيحة مكرمة تدل على طيب معدن، وعلى حب الخير للناس، وكذلك كانت صفات الرسل والأنبياء؛

قال تعالى عن نبيه هود – عليه السلام -:

(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ) إلى قوله:

(أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) (الأعراف:65- 68)

وقال سبحانه عن نبيه نوح – عليه السلام -:

(وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (هود:34)

وقال عز وجل عن نبيه صالح – عليه السلام -:

(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) (الأعراف:79)

وقال عن الرجل الصالح؛

(وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) (القصص:20)

فهذا هدي الأنبياء عليهم السلام، ساسوا أممهم بالحق، وأرشدوهم إلى الخير، وحذّروهم من الشر والفساد...

وعلى منهاجهم بعث خاتم الأنبياء - صلى الله عليه وآله وسلم -، وعلى هداهم كان هديه – عليه الصلاة والسلام -: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (الأنعام: من الآية90).

فما فتئ - صلى الله عليه وآله وسلم - يوجه أمّته ويرشدها إلى ما يصلح دنياها وآخرتها من بعثته وإلى أن

بالرفيق الأعلى – صلوات الله وسلامه عليه -.

بل كان – صلى الله عليه وآله وسلم - يوجّه أمته ويرشدها إلى التحلي بهذا المبدأ العظيم ويأخذ عليه البيعة عند الدخول في الإسلام، ويغرسه في نفوس أصحابه وضمائرهم... وفي هذا السياق جاء هذا الحديث العظيم؛

"**ألا إنّ الدينَ النّصيحة، ألا إن الدين النصيحة، ألا إنّ الدين النصيحة،** قالوا: لِمَنْ يارسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم".

وهو حديث قولي، يتضمن تشريعات وتوجيهات للأمة كلّها:

3/ قوله "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامّتهم" =

أما النصيحة لله فهي بمعنى؛[1]

صحّة الاعتقاد في وحدانيته، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه تعالى عن جميع النقائص، وإخلاص النية في عبادته، والقيام بطاعته ومحابِّه، والحبّ فيه والبغض فيه، ومولاة من أطاعه ومعاداة من عصاه...

والنصيحة لكتابه؛ الإيمان به وأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ثم تعظيمه وتنْزيهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه وأحكامه، وتفهّم علومه، والاعتبار بمواعظه، والدعاء إليه، وذبّ تحريف الغالين وطعن الطاعنين عنه...

والنصيحة لرسوله؛ الإيمان به وبجميع ما جاء به، والتمسّك بطاعته في أمره ونهيه، والتخلق بأخلاقه، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، ومحبة آله وصحابته، وإحياء سنته ونشر علومها، وبثّ دعوته ونشر شريعته ونفي التُّهم عنها، والتفقه في سنته وتعليمها وإعظامها والتأدب عند قراءتها، ومجانبة البدع وأهلها...

والنصيحة لأئمة المسلمين؛ معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رِفْقٍ ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، والدعاء لهم بالتوفيق والصلاح، وحبّ اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، وحبّ إعزازهم في طاعة الله عز وجلّ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم...

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال:

"إن الله يَرْضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبُدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعْتصِموا

---

[1] - ينظر: النووي "شرحه على مسلم" 2/ 38، 39 – وابن رجب الحنبلي "جامع العلوم والحكم" 1/ 219- 223.

بحبل الله جميعا، **وأن تُنَاصِحوا مَنْ وَلاّه الله أمْرَكم**، ويسخط لكم قِيلَ وقالَ، وإضاعةَ الْمالِ، وكثْرة السّؤال".[1]

فهذا يؤكد أن مبدأ المناصحة لولاّة الأمر، ولعموم المسلمين، أصلٌ عظيم، لا تستقيم حياة الأمة الإسلامية في مختلف جوانبها إلا بإحيائه والاهتداء به.

وقد يدخل العلماء في "أئمة المسلمين" فمن نصيحتهم؛ قبول علمهم، واتباعهم على سبيلهم، وإحسان الظن بهم، وترك الطعن عليهم...

والنصيحة للمسلمين؛ إرشادهم إلى مصالحهم، وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، ونصرتهم على أعدائهم والذبّ عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وردّ من زاغ منهم عن الحق بالتلطف، والرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة لإزالة فسادهم، والشفقة عليهم ورحمتهم، وتخولهم بالموعظة...

- والمعنى الرئيس للنصيحة هو خلوص النفس من الشوائب، فالنصح لله بالتوجه لله وحده بصدق، والنصح لرسوله بتجريد متابعته وحده دون من سواه، والنصح لأئمة المسلمين بمساعدتهم بصدق وترك غشهم، والنصح للمسلمين بإرشادهم لما يصلحهم دون أطماع أو أغراض دنيوية ضيقة...

4/ وفي الحديث أن النصيحة هي الدين، والدين يشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان، والدين يقع على القول وعلى العمل، ولهذا المعنى احتج به البخاري في كتاب الإيمان على دخول الأقوال والأعمال في حقيقة الإيمان والدين.

5/ جاء الحديث بأسلوب الجملة الاسمية "الدين النصيحة"، والجملة الاسمية تفيد الثبات والدوام؛ أي أن هذه المسائل ثابتة دائمة في هذا الدين لا تتغير ولا تتبدل.

كذلك في الحديث أسلوب التشويق بإثارة الذهن في سرد كلمة تحتاج إلى زيادة شرح وبيان.

6/ وفي الحديث من الفوائد، استحباب تكرار المسائل المهمة؛ تنبيها للطلاب واستحضارا لأذهانهم، وتعظيما لوقع المعلومة عندهم.

7/ وإسداء النصيحة من أبرز مظاهر حرية الرأي؛ إذ الناصح غالبا ما يبدي من النصيحة والإرشاد خلافَ ما يهواه المنصوح.

8/ أهمية الحديث، وقيمة مبدأ النصيحة في حياة الأمة:

انطلاقا من المعاني السامية التي تضمنها الحديث في معنى النصيحة ولمن توجه؛ فإنه يتبين عظم موقع هذا

---

[1] - رواه مالك في "الموطأ/ كتاب الجامع، باب: جامع الكلام" 2/ 169 رقم (2089) - وابن حبان في "صحيحه" (3388) - وأصله في صحيح مسلم 12/ 10 "كتاب الأقضية/ باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (نووي)".

الحديث النبوي في حياة المسلمين، وما فيه من إرشادات عظيمة وقيم حضارية سامية، وصدق الله إذ يقول (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107)، ولهذا نصَّ بعض الأئمة السابقين كأبي داود السجستاني – رحمه الله – على أن هذا الحديث أحد أصول السنة النبوية.[1]

وقال النووي "هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام".[2]

فهذا يؤكد أن مبدأ المناصحة لولاّة الأمر، ولعموم المسلمين، أصلٌ عظيم، لا تستقيم حياة الأمة الإسلامية في مختلف جوانبها إلا بإحيائه والاهتداء به. وبذلك بلغ سلف هذه الأمة درجة الصديقين والراشدين؛

فقد "قال ابن عُلَيّة في قول أبي بكر الْمُزني: ما فاق أبو بكر – رضي الله عنه - أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه، قال:

الذي كان في قلبه؛ الحبّ لله عز وجل، **والنصيحة في خلقه**.

وقال الفضيل بن عياض: ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا؛ بسخاء الأنفس، **وسلامة الصدور، والنصح للأمة**".[3]

ومما يؤكد معنى النصيحة ورسوخها في المنهج النبوي؛ ما جاء في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله البجلي – رضي الله عنه - قال:

"بايَعْتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وآله وسلم - على السّمع والطاعة فيما استطعتُ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، **والنُّصْحِ لكل مسلمٍ**"،[4] وفي رواية عند البخاري قال جريرٌ: "... أمّا بعدُ فإنّي أتَيْتُ النبيَّ – صلى الله عليه وآله وسلم - قلتُ: أبايعُك على الإسلام، فشرط عليَّ: **والنُّصْحِ لكلِّ مسْلمٍ**، فبايعته على هذا...".

فهذا النبي – صلى الله عليه وآله وسلم - كان يأخذ على أصحابه البيعة على النصح لكل مسلم إذا هُمْ أسلموا، وإنما كانت تؤخذ البيعة على المبادئ والقواعد الأساسية في حياة الأمة الإسلامية ودينها، ولم يكن ليأخذ البيعة على كل واجب أو فرض، بل على مهمات الأمور التي لا تستقيم حال المسلمين إلا بها وبلزومها. وهو كله مما يبين قيمة النصيحة في بناء هذه الأمة وعزها.

9/ من آداب النصيحة:

إسداء النصيحة لأئمة المسلمين، وعامّتهم من أبرز مظاهر حرية الرأي، وهذا المبدأ له آدابه وضوابطه كما

---

[1] - ذكره الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" 1/ 215.

[2] - شرحه على مسلم 2/ 37.

[3] - جامع العلوم والحكم" لابن رجب الحنبلي 1/ 225.

[4] - رواه البخاري؛ في "كتاب الإيمان/ باب: قول النبي "الدين النصيحة لله ولرسوله..." رقم (57، 58)، وأطرافه في (524، 1401، 2157، 2714، 2715، 7204) - ومسلم 2/ 39 في "كتاب الإيمان/ باب: الدين النصيحة (نووي)".

دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة؛ وأهم آدابه أن يكون النصح بعلم، ثم برفق وتلطف، وأن يكون سرّاً.

فهذه ثلاثة ضوابط رئيسة ينبغي أن تصاحب وتلازم هذا المبدأ المهم حتى يؤتي ثماره كما أرادها الله سبحانه وتعالى، وكما بيّنها رسوله صلى الله عليه وسلم.

- أن تكون النصيحة من أهل العلم لا من عامة الناس:

فالنصيحة كما سبق بيان معناها، إذا كانت من المكلف فيجب أن تكون بعلم، لأن العلم مقدم على القول والعمل، وإذا كانت موجهة لفرد أو لجماعة أو لمسؤول فالواجب أن تكون **صادرة من أهل العلم والاختصاص**، لا من عامّة الناس ودهمائهم.

وقد أشار القرآن الكريم في العديد من آياته إلى هذا الضابط المهم، فقال تعالى:

(فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النحل: من الآية43)، فالواجب على من لم يكن من أهل الذكر أن يسأل أهل الاختصاص؛ من أهل الذكر والعلماء، وقال تعالى:

(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء: من الآية83)

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله –:

"هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمرٌ من الأمور المهمة، والمصالح العامة؛ ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو الخوف الذي فيه مصيبة، عليهم أن يتثبّتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردّونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم؛ **أهل الرأي والعلم، والنصح والعقل والرزانة**؛ الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدّها..."[1].

وهذا المنهج والضابط هو الذي جرى على وفقه عمله - صلى الله عليه وآله وسلم -؛

فهو إنما كان يبعث علماء الصحابة يفقهون الناس دينهم، وكذا كان خلفاؤه من بعده إنما كانوا يستشيرون الأمناء من أهل العلم والاختصاص، وكذا يرسلون فقهاء الصحابة وعلماءهم إلى الأمصار للتعليم والنصح والقضاء...

بل كان – صلى الله عليه وآله وسلم - يحذر من خلاف هذا المنهج الرباني؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –:

"سيأتي على النّاس سنواتٌ خدّاعات، يُصَدَّق فيها الكاذبُ، ويُكذّب فيها الصادق، ويُؤتَمَن فيها الخائن،

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 154.

ويُخَوَّن فيها الأمين، **ويَنْطِقُ فيها الرُّوَيْبِضَةُ**، قيل: وما الرويبضة؟ قال: **الرّجلُ التّافِهُ يتكلّم في أمْرِ العامّة**".[1]

وهذا مما يؤكد أن الأمور العامّة لا ينبغي أن يتكلم فيها إلا أهلُ العلم والفهم، وذوو الرأي والاختصاص والنصح، وألا يسمع إلى لهم.

- النصح سرا:

النصح مبدأ أساس وينبغي أداؤه لكل مسلم، لكن من آدابه أن يكون سرّا، إلا في بعض الأحيان عند التعذر، أو عند تعميم النصيحة... وهذا حتى يؤتِيَ ثماره ويحقق مقصوده، كما أنشد الإمام الشافعي:

تَعمّدْني بنُصْحِك في انفِرادي وجَنّبْني النّصيحةَ فِي الْجماعَهْ

فإن النّصحَ بيْن النّاس نوعٌ منَ التّوبيخِ لا أرْضى اسْتِماعَهْ

فإنْ خالفْتَني وعَصيْتَ قولِي فلا تَجْزع إذا لَمْ تُعط طاعَهْ

يقول الحافظ ابن رجب:

"وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه، فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبّخه.

وقال الفضيل: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعَيِّر".[2]

وهذا معلوم عند الجميع، فإن إبداء النصيحة جهرا وعلنا أمام الأشهاد خلاف المقصود منها، لأنه فضح للمنصوح، وتشهير بخطئه دون مصلحة راجحة.

نصيحة ولاة الأمر سرّاً:

فهذا المعنى، إذا كان هذا هو حكمه، وموقف الإسلام منه في حق كل مسلم، فإنه يتأكد ويزداد حرمة وخطورة إذا كان في حقّ السلطان والحاكم، لما يترتب على مخالفته من مفاسد عظيمة، وفتن في الأمة؛

فالخطأ واقع لا محالة من الإمام أو المسؤول، كما في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –:

"إذا حكم الحاكمُ فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر".[3]

---

[1] – رواه أحمد 2/ 291 – وابن ماجه "كتاب الفتن/ باب: شدة الزمان" 2/ 1339 رقم (4036) – والحاكم في "المستدرك/ كتاب الفتن والملاحم" 4/ 465، 466 وقال "هذا حديث صحيح الإسناد"، وقال الذهبي "صحيح"، ورواه أيضا في 4/ 512 وصحّحه.

[2] – جامع العلوم والحكم 2/ 225.

[3] – رواه البخاري في "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ" رقم (7352) – ومسلم 12/ 13 في "كتاب الأقضية/ باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (نووي)".

فلا مناصَ إذاً من إصلاحه – أي الخطأ - بالنّصح والتوجيه والإرشاد، وهكذا يطيب قلب النّاصح والمنصوح، ولهذا المعنى البديع جاء التوجيه النبوي في الحديث الذي يرويه عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه أبان قال:

"خرج زيدُ بن ثابت من عند مروان قريبا من نصف النهار، فقلت: ما بعث إليه إلا لشيء سأله، فقمتُ إليه فسألته، فقال: أجلْ، سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - قال:

"نَضّرَ اللهُ امرءاً سمع منّا حديثا فحفظه وبلّغه غيْرَه، فرُبّ حامِل فقْهٍ ليس بفقيه، ثلاثٌ لا يُ◌َغِلُّ عليهن قلبُ مسلمٍ؛ إخلاصُ العمل لله، **ومناصحة ولاّة الأمر**، ولزوم الجماعة فإن دَعْوَتَهم تحيط من ورائهم".[1]

يقول الإمام الزّمخشري:

"... والغِلُّ: الحقد الكامن في الصدر، والإغلالُ: الخيانة، والوُغول: الدّخول في الشَّرّ. والمعنى: أن هذه الخلال يُستَصْلَح بها القلبُ؛ فمن تَمسّك بها طَهُرَ قلبُه من الدَّغل والفساد".[2]

ويقول الشيخُ أحمد شاكر:

"قوله (يَ◌ُغِل) بفتح الياء وضمّها مع كسر الغين فيهما. فالأول من (الغِلّ) وهو الحقد، والثاني من (الإغلال) وهو الخيانة. والمراد أن المؤمن لا يخون في هذه الثلاثة، ولا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئا من ذلك".[3]

فإحياء مثل هذه الهدايات النبوية، ونشرها في مختلف طبقات الأمة وفئاتها، والتزامها بها، لا شكّ ولا ريب أنه يقي الكثير من الناس من الضغينة، والحقد، والتربص، والدسائس ضدّ الحكام والمسؤولين...

وعن "زياد بن كُسَيْب العَدويّ قال: كنت مع أبي بكرة – رضي الله عنه - تحت مِنْبَر ابْن عامرٍ وهو يخطب وعليه ثياب رقاقٌ، فقال أبو بلال: أُنْظروا إلى أميرنا يلبسُ ثيابَ الفُسّاق، فقال أبو بكرة – رضي الله عنه -: أُسْكُتْ، سمعتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وآله وسلم - يقول:

---

[1] – حديث صحيح، رواه: الشافعي "الرسالة" المسألة رقم (1102) - وأحمد 5/ 183 – والدارمي "المقدمة/ باب: الاقتداء بالعلماء" رقم (235) - وابن ماجه "المقدمة/ باب: من بلغ علما" 1/ 84 رقم (230) - وابن حبان في "صحيحه" رقم (67) - وابن أبي عاصم في "كتاب السنة" رقم (94) - وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" 1/ 175.

[2] – الفائق في غريب الحديث 3/ 72.

[3] – حاشية الرسالة ص 401، 402.

"**من أجلَّ سلطانَ الله أجلّه الله يوم القيامة**"،[1] - وفي رواية: "من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله" -.

فهذا تشهير وفضيحة وليست بنصيحة، والأدب الإسلامي يقتضي احترام السلطان وتعزيره، وكذا توقير أهل العلم والفضل، لمكانتهم في المجتمع، لا أن نهينهم وننتقص قدرهم، ونشهر بعيوبهم على رؤوس الأشهاد، وفوق المنابر، وعبر وسائل الإعلام.

قال ابن أبي عاصم (287 هـ) في كتابه "السّنة":

"**باب: كيف نصيحة الرعية للولاة**"

ثم أسند فيه عن شُرَيْح بن عبيد الحضرمي وغيره قال:

"جلدَ عياضُ بن غنم صاحبَ دار حين فتحت، فأغلظ له هشام بن حكيم القول حتى غضب عياض، ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه، ثم قال هشام لعياض:

ألم تسمع النبي – صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: إن من أشد الناس عذابا أشدهم عذابا في الدنيا للناس؟! فقال عياض بن غنم:

يا هشام بن حكيم! قد سمعنا ما سمعتَ ورأينا ما رأيتَ، أَوَ لَمْ تسمع رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - يقول:

منْ أرادَ أن ينصح لسلطانٍ بأمْرٍ فلا يُبْدِ له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخْلُو به، فإن قَبِلَ منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه له...".[2]

وعلى وفق معنى هذا الحديث كان منهج سلف هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الأعلام، فلم يكن من منهجهم التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع...

فهذا حَبْرُ الأمّة، وعالمها، ينصح سعيد بن جبير بلزوم هذا المنهج النبوي القويم:

"قال سعيدُ بن جبير: قلتُ لابن عباس:

آمُرُ السلطانَ بالمعروف وأنهاه عن المنكر؟ قال: إن خفتَ أن يقتلك، فلا.

ثم عُدْتُ، فقال لي مثلَ ذلك، ثم عدتُ، فقال لي مثل ذلك، وقال: **إن كنتَ لا بد فاعلاً، ففيما بينك**

---

[1] - رواه أحمد 5/ 42، 48، 49 – والترمذي في "كتاب الفتن/ باب" 4/ 502 رقم (2224)، وقال "هذا حديث حسن غريب" – وابن أبي عاصم في "السنة" 481- 483 رقم (1024، 1025) – وحسّنه الشيخ الألباني في "ظلال الجنة" ص 483، وفي "السلسلة الصحيحة" 5/ 375، 376 رقم (2297).

[2] - رواه أحمد 3/ 403، 404 واللفظ له – وابن أبي عاصم في "السنة" 514 رقم 1096، 1097 - وصحّحه الألباني في "ظلال الجنة" ص 514، 516.

وبينه".[1]

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان – رضي الله عنه –، قال بعضُ الناس لأسامة بن زيد – رضي الله عنه –: "ألا تدخل على عثمان فتُكلِّمهُ ؟ قال: إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أُسْمِعُكم؟! إني لأكلمه فيما بيني وبينه – وفي رواية: **إني أُكلِّمه في السِّرِّ** –، دون أن أفتحَ أمراً – وفي رواية: **باباً - لا أحبُّ أن أكون أوّل من افتتحه...**".[2]

قال الإمام النووي – رحمه الله –:

"قوله (أَتَرَوْن أنّي لا أكلِّمُه إلا أُسْمِعُكم) بمعنى: أتظنون أني لا أكلمه إلا وأنتم تسمعون. وقوله (أفتتحُ أمراً لا أحبّ أن أكون أوّل من افتتحه) يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان – رضي الله عنه –".[3]

ويقول الحافظُ ابن حجر:

"قوله (قد كلمته دون أن أفتح بابا): أي كلمته فيما أشرتم إليه، لكن على سبيل المصلحة والأدب في السِّرِّ، بغير أن يكون في كلامي ما يُثير فتنة أو نحوها".[4]

لكن لما فتح الخوارجُ الشرَّ في زمان عثمان – رضي الله عنه –، وأنكروا على عثمان جهْرةً تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناسُ في آثاره إلى اليوم... وجل تلك الفتن كانت بسبب الإنكار العلني، وذكر العيوب علنا، حتى أبغض الناسُ وليَّ أمرهم وقتلوه. والله المستعان

وعلى هذا المعنى الذي بينه أسامة – رضي الله عنه – كان هدي الصحابة – رضوان الله عليهم –، وعلى وفق سبيلهم سلك من تبعهم بإحسان من أهل العلم الراسخين من أهل السنة وأصحاب الحديث عبر مختلف العصور.

هذا ما تيسر جمعه في هذا الحديث والله أعلم وهو الموفق والهادي سواء السبيل.

---

[1] – ذكره ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" 2/ 248.

[2] – رواه البخاري في "كتاب بدء الخلق/ باب: صفة النار وأنها مخلوقة" رقم (3267)، وفي "كتاب الفتن/ باب: الفتنة التي تموج كموج البحر" رقم (7098) – ومسلم في "كتاب الزهد/ باب: حفظ اللسان (نووي)" 18/ 117، 118.

[3] – شرحه على مسلم 18/ 118.

[4] – فتح الباري 13/ 65 "كتاب الفتن/ باب: الفتنة التي تموج كموج البحر" رقم (7098).

الحديث الخامس

نص الحديث:

قال الإمام أحمد:

"حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

ووافقه أبو داود والترمذي والنسائي وأبو عبيد على اللفظ.

روايات الحديث:

- رواية الإمام مسلم بن الحجاج، قال:

"حدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

وقال أيضا: "حدثنا عبيد الله بن سعيد وعبد بن حميد قالا حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان".

وافقه النسائي على اللفظ.

- رواية الإمام البخاري، قال:

"حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان".

- رواية الإمام أبي داود، قال:

" حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة العظم عن الطريق، والحياء شعبة من

الإيمان".

- رواية الإمام النسائي، قال:

"أخبرنا محمد بن عبد الله بن المبارك حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان".

وقال أيضا "أخبرنا أحمد بن سليمان حدثنا أبو داود عن سفيان.

وحدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أفضلها قول لا إله إلا الله، وأوضعها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

- رواية الإمام الترمذي، قال:

"حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

الإيمان بضع وسبعون بابا؛ أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله".

- رواية الإمام ابن ماجه، قال:

"حدثنا علي بن محمد الطنافسي ثنا وكيع ثنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -:

الإيمان بضع وستون أو سبعون بابا؛ أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله، والحياء شعبة من الإيمان".

الدراسة الإسنادية

1/ **الحديث رواه:**

البخاري في "كتاب الإيمان/ باب: أمور الإيمان وقول الله تعالى ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة177)" رقم (9) - ورواه أيضا: في "الأدب المفرد" رقم (598).

ومسلم في "كتاب الإيمان/ باب: بيان عدد شعب الإيمان (نووي)" 2/ 3، 4 رقم (35).

والنسائي في "كتاب الإيمان وشرائعه/ باب: ذكر شعب الإيمان" 8/ 110 رقم (5006، 5007).

وأبو داود في "كتاب السنة/ باب: في ردّ الإرجاء" رقم (4676).

والترمذي في "كتاب الإيمان/ باب: ما جاء في استكمال الإيمان، وزيادته ونقصانه" 5/ 10 رقم (2614)

وقال "هذا حديث حسن صحيح".

وابن ماجه في "المقدمة/ باب: في الإيمان" 1/ 22 رقم (57).

وأحمد في "المسند" 2/ 414، 445 رقم (8926، 9361، 9710، 9748).

وعبد الرزاق في "المصنف" 11/ 126 رقم (20105).

وابن أبي شيبة في "المصنف" 8/ 522، و9/ 28، و11/ 40 - وفي "كتاب الإيمان" ص 30 رقم (66).

وأبو عبيد في "كتابه الإيمان" "باب: نعت الإيمان في استكماله ودرجاته" ص 15 رقم (3).

والآجري في "الشريعة" ص 110، 111.

والبغوي في "شرح السنة" 1/ 74، 75.

وابن بطة في "الإبانة" رقم (833).

كلّهم من طريق عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة به...

2/ توجيه اختلاف روايات الحديث:

الحديث رواه عن عبد الله بن دينار سليمان بن بلال وسهيل بن أبي صالح، واختلف عنهما في لفظه؛

أما سليمان فأكثر الرواة عنه جزموا بالسبعين كما هي رواية مسلم، وخالفهم عبد الله بن محمد فجزم بالستين كما هي رواية البخاري.

وأما سهيل فرواه عنه سفيان الثوري وحماد بن سلمة وجزما بالسبعين، وخالفهم جرير فرواه بالشك.

وعليه فإنه يتقوى القول بترجيح رواية الجماعة، أي التي جزمت بالسبعين وما ارتضاه الإمام مسلم في صحيحه حيث قدمه في الباب، وهو الذي اختاره أيضا الشيخ الألباني.[1]

إذن، فأصح طرق الحديث هي:

طريق أبي عامر العقدي من رواية عبد بن حميد، وعبيد الله بن سعيد، ومحمد بن عبد الله بن المبارك عنه عن سليمان بن بلال، وتابع سليمانَ سهيلُ بن أبي صالح، رواه عنه: سفيان الثوري، وحماد بن سلمة... بلفظ: "بضع وسبعون" دون شك.

- ومن أهل العلم من ذهب إلى صحة الطرق كلها وأن سبب الخلاف هو الزيادة في الشرائع وتجددها كما هو اختيار أبي عبيد، بينما ذهب البيهقي وابن الصلاح وابن حجر إلى ترجيح رواية البخاري لأن الأقل هو المتيقن...

3/ كما روي الحديث أيضا عند أحمد، والترمذي، وابن أبي شيبة بألفاظ: "الإيمان ستون أو سبعون"،

---

[1] - ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة 4/ 371 رقم (1769).

و"أربع وستون"، وهي روايات ضعيفة لا شك فيها لمخالفة أصحابها للرواة الثقات الذين رووا الحديث.[1]

الدراسة المتنية

ترجمة الصحابي

سبقت ترجمة أبي هريرة – رضي الله عنه – في الحديث الأول.

شرح غريب الحديث

بضع = البضع في العدّ بالكسر وقد يفتح، ما بين الثلاث والتسع، وقيل ما بين الواحد إلى العشرة لأنه قطعة من العدد.[2]

شعبة = الشعبة بالضم الطائفة من كل شيء والقطعة منه، والمراد الخصلة أو الجزء.[3]

إماطة = أي تنحية وإبعاد وإزالة.

الحياء = الحياء هو بالمد، وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب...[4]

المعنى الإجمالي للحديث

الإيمان هو الدين، وهو شرعا مرادف للإسلام، ولهذا عُني النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ببيان معناه لأمته؛ فتكلم عنه في عدة أحاديث اهتماما به وبيانا لمعناه، ويكفي في ذلك حديث جبريل المشهور، وكذا حديث الباب هذا، حيث بين أن الإيمان يتكون من مجموعة شعب وأجزاء وأبعاض؛ أقوال باللسان، وأفعال القلوب، وأفعال الجوارح، وأن بعضها أفضل من بعض.

وهو حديث عظيم جدا، لقي من العلماء سلفا وخلفا عناية فائقة، وألفوا في معناه كتبا عديدة.

الأحكام والفوائد المستفادة

1/ "الإيمان" =

الإيمان هو ركن هذا الدين وأساسه وحقيقته، فما معناه وما هي حقيقته؟ الكلام هنا في عدة مسائل:

المسألة الأولى: اتفق سلف هذه الأمة من الصحابة وتابعيهم والأئمة المتبوعين، أهل السنة والجماعة،

---

[1] - ينظر للمزيد: سلسلة الأحاديث الصحيحة 4/ 371 رقم (1769).

[2] - "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير 1/ 129.

[3] - النهاية 2/ 405 – وفتح الباري 1/ 73 رقم (9).

[4] - الحافظ ابن حجر/ فتح الباري 1/ 73 رقم (9).

وجماعة أهل الحديث والفقه على أن الإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.[1] فهو اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

وعلى هذا المعنى حُكي الإجماع المستند إلى الأدلة المتكاثرة من الكتاب والسنة عن كل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين؛

فقد حكى الإجماع عن أهل السنة غيرُ واحد من العلماء كالشافعي،[2] والبغوي،[3] وابن عبد البر،[4] بل أصبح القول بهذا من أصول أهل السنة ومميزاتهم الفارقة بينهم وبين سائر طوائف أهل البدع.

المسألة الثانية: ولجلالة مسألة الإيمان وأهميتها عني بها الأئمة قديما؛

فقد ساقها الإمام البخاري – رحمه الله – في "الكتاب الثاني" من جامعه الصحيح بعد "كتاب الوحي" وعني بها عناية فائقة، واحتج لها وأوضحها بنحو واحد وخمسين حديثا تحت اثنين وأربعين بابا. كما افتتح أيضا الإمام مسلم جامعه الصحيح بكتاب الإيمان، وهكذا سائر الأئمة الذين صنفوا في السنة النبوية، وجمعوا الدواوين؛ كأصحاب السنن، والمصنفات، فقد ضمنوا دواوينهم "كتاب الإيمان". أيضا فقد صنف فيه استقلالا العديد من الأئمة كـ: أبي عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وابن أبي شيبة، وابن منده، والطحاوي... وابن تيمية وغيرهم رحمة الله عليهم.

المسألة الثالثة: أقوال بعض الأئمة في تعريف "الإيمان":

- يقول الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله – (256هـ):

"لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم؛ أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر، لقيتم كَرّاتٍ قرنا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من سِتٍّ وأربعين سنة... [ثم سَمّى أعيانَهم في كل مصر]، فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء؛

أن الدين (الإيمان) قول وعمل، يزيد وينقص.

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق...

ولم يكونوا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب...".[5]

---

[1] – فقول القلب هو تصديقه وإقراره ومعرفته، وعمل القلب هو انقياده لما صدق به، ومن أعمال القلب الحب والخوف والتوكل والخشية والإنابة... ينظر للمزيد: كتاب الإيمان لابن تيمية ص 162، 163، 176.

[2] – "كتاب الإيمان" لابن تيمية ص197.

[3] – شرح السنة 1/ 78.

[4] – التمهيد 9/ 238.

[5] – رواه عنه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" 1/ 197.

- ويقول الإمام ابن قتيبة[1] – رحمه الله – (276هـ):

"سألت عن حديث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: الإيمان نَيِّفٌ وسبعون بابا...

أما وجه هذا الحديث؛ فالإيمان صنفان: أصل وفرع

فالأصل؛ الشهادتان، والتصديق بالبعث والجنة والنار والملائكة، وبكل ما أخبر الله به في كتابه، وأشباه هذا مما أخبر به رسوله عنه. وهذا هو الأمر الذي من كفر بشيء منه، فقد خرج من الإيمان، ولا يقال له: مؤمن، ولا ناقص الإيمان.

ومن الأصول: الصلاة والزكاة والصوم وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، وهذا هو الأمر الذي من آمن بأنه مفروض عليه، ثم قصّر في بعضه بِتَوانٍ أو اشتغال، فهو ناقص الإيمان حتى يتوب ويراجع.

وكذلك الكبائر، إن لابسها غير مستحل لها، فهو ناقص الإيمان حتى ينزع عنها.

وأما الفروع: فإماطة الأذى من الإيمان، وإفشاء السلام من الإيمان، وأشباه هذا..."[2].

وقال أيضا: "والموصوفون بالإيمان ثلاثة نفر؛

رجل صدق بلسانه دون قلبه كالمنافقين...

ورجل صدق بلسانه وقلبه، مع تدنس بالذنوب وتقصير في الطاعات من غير إصرار، فنقول "قد آمن"، وهو مؤمن ما تناهى عن الكبائر، فإذا لا بسها لم يكن في حال الملابسة مؤمنا مستكمل الإيمان...

ورجل صدق بلسانه وقلبه، وأدى الفرائض، واجتنب الكبائر، فذلك المؤمن حقا المستكمل شرائط الإيمان..."[3].

- ويقول الإمام أبو عبد الله بن منده (395هـ):

"ذكر اختلاف أقاويل الناس في الإيمان، ما هو؟

وقال جمهور أهل الإرجاء: الإيمان هو فعل القلب واللسان جميعا.

وقالت الخوارج: الإيمان فعل الطاعات المفترضة كلها، بالقلب واللسان وسائر الجوارح.

وقال أهل الجماعة:

الإيمان هو الطاعات كلها، بالقلب واللسان وسائر الجوارح، غير أن له أصلا وفرعا؛

---

[1] - هو الإمام أبو محمد بن قتيبة الدينوري، أحد الأعلام والأئمة، وكان أهل المغرب يعظمونه، ويقولون: من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يُتّهم بالزندقة.

[2] - كتاب "المسائل والأجوبة" 331، 332.

[3] - تأويل مختلف الحديث 160، 161.

فأصله المعرفة بالله، والتصديق له وبه، وبما جاء من عنده بالقلب واللسان، مع الخضوع له، والحب له والخوف منه، والتعظيم له، مع ترك الكبر والاستنكاف والمعاندة.

فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان، ولزمه اسمُه وأحكامه، ولا يكون مستكملا له حتى يأتي بفرعه.

وفرعه: هو المفترض عليه، أو الفرائض واجتناب المحارم.

وقد جاء الخبر عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال : "الإيمان بضع وسبعون شعبة...".

فجعل الإيمان شعبا، بعضها باللسان والشفتين، وبعضها بالقلب، وبعضها بسائر الجوارح.

فشهادة أن لا إله إلا الله: فعل اللسان، تقول شهدت أشهد شهادة، والشهادة فعله بالقلب واللسان، لا اختلاف بين المسلمين في ذلك.

والحياء في القلب.

وإماطة الأذى عن الطريق: فعل سائر الجوارح".[1]

- ويقول حافظ المغرب والأندلس أبو يوسف بن عبد البر – رحمه الله – (463هـ):

"القول في الإيمان عند أهل السنة، وهم أهل الأثر من المتفقهة والنقلة...

أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية. والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان...".

وقال أيضا: "وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم؛ مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وداود بن علي، وأبو جعفر الطبري، ومن سلك سبيلهم، فقالوا: الإيمان قول وعمل؛ قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة.

قالوا: وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة، فهو من الإيمان. والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبِهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر...".[2]

- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (728هـ):

"هو مركب من: أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصا يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة...

---

[1] - كتابه "الإيمان" 331، 332.

[2] - التمهيد 9/ 238، 243 – والاستذكار 26/ 132، 133.

فمن سواء أجزائه ما إذا ذهب نقص عن الأكمل.

ومنه ما نقص عن الكمال، وهو ترك الواجبات، أو فعل المحرمات.

ومنه ما نقص ركنه، وهو ترك الاعتقاد والقول...".[1]

المسألة الرابعة: دخول الأعمال في مسمّى الإيمان وحقيقته؛

أقوال الأئمة السابقة واضحة وصريحة جدا في أن الأعمال داخلة في مسمى وحقيقة الإيمان باتفاق سلف الأمة، وأدلتهم على هذا القول كثيرة جدا من الكتاب والسنة؛ فمنها:

- يقول الحافظ ابن عبد البر:

"ومن الدلائل على أن الإيمان قول وعمل كما قالت الجماعة والجمهور قول الله عز وجل: (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) (البقرة 143) لم يختلف المفسرون أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الصلاة إيماناً.

ومثل هذا قوله تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)

أما السنة فكثير جدا...".[2]

- والآية: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة 177)

قد احتج بها كثير من أئمة السلف على دخول الأعمال في حقيقة الإيمان، وفي الصحيح عن مجاهد أن أبا ذر - رضي الله عنه - سأل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عن الإيمان؟ فقرأ عليه: (لَّيْسَ الْبِرَّ... الآية).

- وقوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ...) (المؤمنون)...

- أما الأحاديث في هذا المعنى فهي كثيرة جدا كما قال ابن عبد البر، فمنها:

حديث الباب: حيث جعل النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - الإيمان بضعا وسبعين جزءا وشعبة وذكر منها قول لا إله إلا الله، وإماطة الأذى عن الطريق، وهذا فعل الجوارح، والحياء وهذا فعل القلب... فالحديث شمل كل أنواع الإيمان؛ اعتقاد، وقول، وعمل.

- ومنها حديث وفد عبد القيس حين جاءوا إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -... فقالوا: "مُرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة... فأمرهم بالإيمان بالله وحده، ثم قال لهم:

---

[1] - مجموع الفتاوى 7/ 637.

[2] - التمهيد 9/ 245، 246.

أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تُعطوا من المغنم الخمس...".[1]

قال البغوي : "وفي الحديث بيان أن الأعمال من الإيمان، حيث فسّر الإيمان بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان، وإعطاء الخمس من الغنيمة...".[2]

- ومنها قوله - صلى الله عليه وآله وسلم -:

"والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال:

من لا يؤمن جارُه بوائقَه".[3]

والنصوص النبوية في هذا المعنى كثيرة جدا، مما يدل دلالة قاطعة على أن هذا أصل ثابت ومتواتر عن سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان من الأئمة الأعلام؛ من التلازم بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وبين الظاهر والباطن، يقول ابن تيمية – رحمه الله -:

"فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر، والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أهل الحديث: قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد... فلابد في إيمان القلب من حب الله ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...".[4]

ويقول أيضا:

"فأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق، والحب والانقياد، وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه، دل على عدمه أو ضعفه.

ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له، لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح".[5]

---

[1] - رواه البخاري (53) ومسلم.

[2] - شرح السنة 1/ 83.

[3] - رواه البخاري.

[4] - مجموع الفتاوى الإيمان 177.

[5] - مجموع الفتاوى 7/ 642، 644.

المسألة الخامسة: زيادة الإيمان ونقصانه؛

وهذه المسألة تابعة للتي قبلها ناتجة عنها، فالقول بدخول الأعمال في الإيمان لازم للقول بزيادة الإيمان ونقصانه، وهذا مستفيض متواتر نقله عن أئمة أهل السنة من سلف الأمة، يقول ابن عبد البر:

"وعلى أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتوى بالأمصار".[1]

والحديث واضح في هذا، فقوله "أفضلها..."، ثم قوله "أدناها..." دليل على تفاوت أهل الإيمان في إيمانهم مما يؤكد زيادته ونقصانه...

وروى ابن عبد البر بسنده عن "عبد الرزاق قال: سمعت سفيان الثوري ومعمر وابن جريج ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

فقلنا لعبد الرزاق: فما تقول أنت؟ قال: أقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فإن لم أقل هذا فقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين".[2]

والأدلة على هذا كثيرة جدا مستفيضة كقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ) (الفتح4). (تستوفى الأدلة في التطبيق)

المسألة السادسة: العلاقة بين الإيمان والإسلام؛

الدين هو الإسلام والإيمان، وإذا أطلق أحدهما شمل الآخر، وعلى هذا المعنى دلت نصوص الكتاب والسنة، وهو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وهو قول عامة السلف كما حكاه عنهم الإسماعيلي واللالكائي وابن السمعاني؛[3] أن الإسلام والإيمان تختلف دلالتهما بالاقتران، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، فإذا اقترنا في النص افترقا في المعنى، وإذا افترقا في النص اقترنا في المعنى، ويُتأمل حديث سؤال جبريل، وحديث وفد عبد القيس يتضح هذا المعنى.

المسألة السابعة: من ثمار وفوائد صحة الاعتقاد في الإيمان؛

ما سبق بيانه وتحريره من مسائل الإيمان وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وهو المعنى الذي جرى على وفقه علم عامة سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين وأهل الحديث، ولا شك أن متابعتهم على هذه المعاني والفهوم هو السبيل الوحيد لأعطاء التصور الصحيح والسليم عن دين الإسلام، كما

---

[1] - التمهيد 9/ 252، 238، 243.

[2] - التمهيد 9/ 252.

[3] - ينظر: فتح الباري 1/ 153 رقم (50)

أنه هو القائد لسداد العمل واستقامته. وهذا من الثمار الطيبة لصحة الاعتقاد في الإيمان ومسائله.

وكما قيل "وبضدها تتميز الأشياء"؛ فيكفي طالب العلم والحق أن يتأمل في ما نتج عن معتقدات الخوارج والمعتزلة وكذا المرجئة في مسائل الإيمان من فتن حلت بهذه الأمة، كي يعلم الفوائد العميمة لمسلك أهل السنة في الباب.

2/ "بضع وسبعون شعبة" =

أي أن الإيمان شرعا يتكون من بضع وسبعين جزءا وشعبة، بعضها أقوال، وبعضها اعتقادات القلب وأعماله، وبعضها أعمال الجوارح كما في الحديث نفسه.

وهو دليل واضح على المسألة الرابعة.

3/ "فأفضلها قول لا إله إلا الله" =

فالحديث صريح أن قول لا إله إلا الله من شعب الإيمان، وأنها أفضل الشعب على الإطلاق، وأن مراتب الإيمان متفاوتة، والتفاوت في شعب الإيمان من الأدلة القطعية على الزيادة والنقصان، وأن أهل الإيمان ليسوا في مرتبة واحدة، بل يتفاوتون حسب اعتقاداتِهم وأعمالهم أعظم التفاوت.

- و"لا إله إلا الله" هي كلمة التوحيد ولذا فهي أفضل شعب الإيمان، وأحسن ما يتلفظ به المكلف، ومعناها؛

أنه لا معبود بحق إلا الله، ولا يستحق العبادة أحد إلا هو سبحانه وتعالى، فهي تتضمن النفي والإثبات، والنفي هو الكفر بكل معبود سوى الله عز وجل، وعدم إثبات الألوهية والعبودية لأي معبود من المعبودات وإله من الآلهة.

والإثبات هو إثبات الألوهية والعبودية لله وحده لا شريك له، فلا معبود بحق إلا الله عز وجل.

فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادات...

والعبادة = اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ كالمحبة والتوكل، والخوف، والرجاء، والإنابة، والموالاة... والصلاة، والركوع، والسجود، والدعاء، والنذر، والطواف، والتوبة، والاستغاثة، والاستعاذة...[1]

وهذا النوع من التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهو أوّل الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء وأشقياء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي

[1] - ينظر: "كتاب العبودية" لابن تيمية ص 5، 6.

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة21) فهذا أول أمر في القرآن.

وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف، وأول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".[1]

قال في "معارج القبول":

"كلمة الشهادة هي سبيل الفوز والسعادة، ولا سعادة في الدارين إلا عن طريقها، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (الحجر92).

وهي أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدّمها أولا قبل كل نعمة، فقال تعالى: (يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ) (النحل2).

وهي أصل الدين وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها متشعبة منها مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، فهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى...

وهي سبب النجاة... وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -:

"من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاء".

وهي أفضل ما ذكر الله به، وأثقل شيء في الميزان كما في حديث البطاقة، ويكفي في فضل لا إله إلا الله إخبار النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنها أعلى وأفضل جميع شعب الإيمان...".[2]

- شروط لا إله إلا الله:

كلمة لا إله إلا الله سهلة على اللسان، لكنها عظيمة المعاني جليلة القدر، فلا تصح من قائلها ولا تقبل إلا بفهم معناها وتحقيق مقتضياتها، وإلا فما أسهل أن يقولها العبد ويرددها على لسانه...

"وينبغي أن يعلم أن المقصود بهذه الشروط صحتها عند الله عز وجل حتى ينتفع بها قائلها في الآخرة،

---

[1] - رواه أبو داود والحاكم بسند صحيح.

[2] - معارج القبول 1/ 369 - والثمرات الزكية 97.

فأغلبها من أعمال الباطن، ولكن يُحكم في الدنيا بإسلام من نطق بالشهادتين ثم يطالب بعد ذلك بفرائض الشريعة، وليس الأمر كما يظن البعض أننا لا نقبل هذه الشهادة من أحد حتى تتوفر فيه هذه الشروط السبعة، ولو تدبروا فيها لعلموا أنهم لا سبيل لهم إلى تحقيقها من أحد – لأنها من أمور الباطن –...".[1]

وهذه الشروط هي:

العلم بمعناها وبِما دلت عليه من نفي وإثبات.

اليقين المنافي للشك بها.

القبول لما اقتضته هذه الكلمة بالقلب واللسان وعدم الاستكبار عليها.

الانقياد لما دلت عليه المنافي للترك والإعراض.

الصدق المنافي للكذب باطنا وظاهرا.

الإخلاص لله سبحانه وتعالى بهذه الكلمة المنافي لاتخاذ الشركاء والأنداد.

المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين الملتزمين لشروطها، وبُغض من ناقض ذلك...

4/ "إماطة الأذى عن الطريق" =

وهو أمر سهل هين على النفس وإن كان البعض قد يحتقره، لكن فيه من معاني حب الخير للمسلمين، وإزالة الشر وإبعاده عنهم، وهذه لا تكون إلا في قلب مؤمن يحب للناس ما يحبه لنفسه... فلا ينبغي أن يحقر المؤمن من المعروف شيئا.

5/ "والحياء شعبة من شعب الإيمان" =

والحياء؛ عمل قلبي ينعكس على الظاهر أقوالا وأعمالا، وهو حامل لصاحبه على فعل الحسن وترك القبيح، وقال بعض العلماء:

"حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حقِّ ذي الحق، وروينا عن أبي القاسم الجنيد – رحمه الله – قال: الحياء رؤية الآلاء – أي: النِّعَم – ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء".[2]

والحياء دافع أساس لطاعة الله سبحانه وتعالى بفعل محابه وترك مكارهه، فهو دافع لفعل الخيرات مانع من ارتكاب المحظورات كما هو شأن الإيمان تماما، ولهذا المعنى نَوّه بذكره النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –

---

[1] – الثمرات الزكية ص 100.

[2] – ينظر: "بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين" لسليم الهلالي 2/ 11.

في حديث الباب، كما تحدّث عنه وعن عظيم فضله في مناسبات عدة؛ منها ما رواه عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما –:

"أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –:

دعه، فإن الحياء من الإيمان".[1]

وعن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عيه وآله وسلم –:

الحياء لا يأتي إلا بخير".[2]

هذا ما تيسر جمعه من فوائد في الحديث والله الموفق.

الحديث السادس

نص الحديث

قال الإمام مسلم بن الحجاج:

"حدثنا زهير بن حرب، وعثمان بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم؛

قال إسحاق أخبرنا، وقال الآخران حدثنا: جرير بن عبد الحميد عن منصور بن المعتمر عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –:

عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزالُ الرجل يَصْدُقُ ويتحرّى الصّدقَ حتى يُكتب عند الله صدّيقا.

وإيّاكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّابا".

الدراسة الإسنادية

1/ تخريج الحديث:

الحديث رواه:

البخاري في "كتاب الأدب/ باب: قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة 119)، وما ينهى عن الكذب" رقم (6094).

---

[1] – رواه البخاري 1/ 74 – ومسلم رقم (36).

[2] – رواه البخاري 10/ 521 – ومسلم رقم (37).

وفي "الأدب المفرد" رقم (386).

ومسلم في "كتاب البر والصلة/ باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (نووي)" 16/ 159، 160.

ومالك في "كتاب الجامع/ باب: ما جاء في الصدق والكذب" 2/ 168 رقم (2085) بلاغا.

والترمذي في "كتاب البر والصلة/ باب: ما جاء في الصدق والكذب" 4/ 347 رقم (1971) وقال "هذا حديث حسن صحيح".

وأبو داود في "كتاب الأدب/ باب: التشديد في الكذب" رقم (4989).

وأحمد في "المسند" رقم (3638، 4108).

وابن أبي شيبة في "المصنف" 8/ 590، 591.

والبيهقي في "السنن الكبرى" 10/ 196.

والبغوي في "شرح السنة" رقم (3574):

كلهم من حديث أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود... به.

رواه عن أبي وائل منصور بن المعتمر، وسليمان الأعمش.

أما منصور فرواه عنه؛ جرير بن عبد الحميد، وأبو الأحوص.

وأما سليمانُ بن مهران الأعمش، فرواه عنه أبو معاوية، ووكيع، وابن مُسْهِر، وعيسى بن يونس، وعبد الله بن داود.

2/ بينما رواه أبو إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن ابن مسعود؛

أخرجه: مسلم 16/ 159 - وابن ماجه في "المقدمة/ باب: اجتناب البدع والجدل" 1/ 18 رقم (46) - والدارمي في "كتاب الرقاق/ باب: في الكذب" رقم (2749).

وفيه من الزيادة:

"عن ابن مسعود أن محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: ألا أنبئكم ما الْعَضْهُ؟

هي النّميمة القالَةُ بين الناس.

وإن محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: إن الرجل يصدق...".

اللفظ لمسلم، ونحوه لفظ الدارمي.

- بينما رواه ابن ماجه بلفظ: "أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال:

إنما هما اثنتان، الكلام والْهَدْيُ، فإن شرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ألا لا يطولَنَّ عليكم الأمدُ فتقسو قلوبُكم، ألا إن ما هو آتٍ قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت، ألا إنما الشّقيُّ من شقي

في بطن أمّه، والسعيد من وُعظ بغيره، ألا إن قِتال المؤمن كفر وسبابه فُسوقٌ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.

ألا وإيّاكم والكذب فإن الكذب لا يَصْلُحُ بالْجِدِّ ولا بالهزل، ولا يَعِدُ الرجلُ صَبِيَّهُ ثم لا يفي له، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار.

وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإنه يُقال للصّادق: صَدَقَ وبَرَّ، ويقال للكاذب: كذَبَ وفَجَرَ، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا".

- ويظهر أن الخلاف وقع بين تلاميذ أبي إسحاق السبيعي؛ فمسلم رواه عن شعبة عنه، والدارمي عن إدريس الأودي[1] عنه، بينما رواه ابن ماجه عن موسى بن عقبة (وهو ثقة أمام) عنه.

3/ والحديث ثابت موصولا عند كل الأئمة الذين خرّجوه في مصنفاتِهم ودواوينهم، إلا أن مالكا رواه بلاغا وموقوفا، فقال:

"بلغني أن عبد الله بن مسعود كان يقول:..."، وجعله من قول ابن مسعود. فالله أعلم

الدراسة المتنية

ترجمة الصحابي

هو[2]: "عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الْهُذلي أبو عبد الرحمن، أمّه: أمّ عبد الله بنت عبد وُدّ بن سُواءَة.

صاحب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، وخادمه، وأحد السابقين الأوّلين،[3] أسلم قديما وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا والمشاهد بعدها، ولازم النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وكان صاحبَ نَعْليه، وسِواكه، وَوِساده؛ قال له رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –:

"أذنتك أنْ ترفع الحجاب، وتسمع سوادي [صوتي أنا شخصيا] حتى أنهاك". أخرجه أصحاب الصحيح.

حدث عنه كثيرا، وكان من نبلاء الفقهاء والمقرئين، قال: "أخذت مِنْ فِي رسول الله – صلى الله عليه وآله

---

[1] - هو إدريس بن يزيد الأودي أبو عبد الله، وهو ثقة. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 2/ 263، 264 – وتحرير تقريب التهذيب رقم (296).

[2] - تنظر ترجمته في: "الإصابة في تَمييز الصحابة" للحافظ ابن حجر 6/ 214- 216 رقم (4945) – "سير أعلام النبلاء" للذهبي 1/ 461- 500 – "تذكرة الحفاظ" 1/ 13- 16.

[3] - وكان يقول: "لقد رأيتني سادس ستة وما على الأرض مسلم غيرنا". قال شعيب الأرناؤوط: "أخرجه أبو نعيم في "الحلية" والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا" حاشية "سير أعلام النبلاء" 1/ 464.

وسلم - سبعين سورة"، وهو أوّل من جهر بالقرآن بمكة، وقال فيه – صلى الله عليه وآله وسلم -:

"من أحبّ أن يقرأ القرآن غضّاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد".[1]

وكان – رضي الله عنه - يقول: "والله الذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورةٌ من كتاب الله إلا أن أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آيةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه".[2]

آخى النبي – صلى الله عليه وآله وسلم - بينه وبين الزبير بن العوام، ثم بينه وبين سعد بن معاذ، وأيضا بينه وبين أنس بن مالك.

شهد – رضي الله عنه - فتوح الشام، وسيّره عمرُ بن الخطاب إلى الكوفة ليعلّمهم أمورَ دينهم، وبعث عمّارا أميراً، وقال: "إنهما من النجباء من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم -، فاقتدوا بهما".

مات – رضي الله عنه - سنة اثنتين وثلاثين بالكوفة، ولقد كان من سادة الصحابة، وأوعية العلم، وأئمة الهدى، وله قراءات وفتاوى ينفرد بِها...

اتفقا له في الصحيحين على أربعة وستين حديثا، وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين، وله عند بقيٍّ بالمكرر ثماني مئة وأربعون حديثا (840).

من أقواله الرائعة – رضي الله عنه -: "من كان منكم متأسيا، فليتأس بأصحاب محمد – صلى الله عليه وآله وسلم -؛ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلّها تكلفا، وأقومها هدْياً، وأحسنها خِلالا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيّه – صلى الله عليه وآله وسلم -، فاعرفوا لهم قَدْرهم، واتّبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم".[3]

شرح غريب الحديث

---

[1] - رواه أحمد 1/ 445، 454 - وأبو نعيم في "الحلية" 1/ 124 - الحاكم 3/ 317 وصححه ووافقه الذهبي - وحسّنه شعيب الأرناؤوط/ حاشية "سير أعلام النبلاء" 1/ 464.

[2] - رواه البخاري في "كتاب فضائل القرآن/ باب: القرّاء من أصحاب النبي – صلى الله عليه وآله وسلم -" رقم (5002) – يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -:

"فصلٌ في أحسن طرق التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة... وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود... ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس...". مقدمة في أصول التفسير ص 93- 96.

[3] - رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" 2/ 947 رقم (1810).

الْبِرّ = كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف.

يهدي = يرشد ويوصل، ويؤدي إليه.

يتحرّى = أي يتعمده ويقصده، والتحري: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول.[1]

الفجور = هي الأعمال السيئة.

المعنى الإجمالي

كان من منهج النبي- صلى الله عليه وآله وسلم - في تربية أمته وهدايتهم؛ حرصه على تعليمهم أنواع الأدب؛ الأدب مع الله سبحانه وتعالى، والأدب معه - عليه الصلاة والسلام -، والأدب مع الخلق، فكان يرشدهم ويحثهم على مكارم الأخلاق ومعالي الآداب، وينهاهم عن مساوئ الأخلاق... وهو القائل "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

ومن أهم الأخلاق والآداب التي كان يُعنى بِها - صلى الله عليه وآله وسلم - خلق الصدق، والصدق خلق عظيم دال على صفاء القلب، وصحة التوجه، وسلامة الصدر، والبراءة من الغش والنفاق... لهذا حض عليه النبي – عليه الصلاة والسلام – أصحابه، وبين لهم فضيلته العظيمة، وأنه الهادي إلى جنة الرحمن.

وفي المقابل حذّرهم من الكذب؛ الذي هو قرين النفاق والخداع، وهو من قبائح الذنوب، ومناقض للإيمان والإسلام، وعاقبته سخط الرحمن، والخسران يوم الدين.

الأحكام والفوائد المستفادة وشرح جمل الحديث

1/ الحديث بسياقه وكلّه يتحدث عن خلق الصدق، والأحاديث في الأخلاق كثيرة جدا ووفيرة، تدل على الاهتمام الكبير الذي أولاه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لتربية أمّته على مكارم الأخلاق، كما تدل على أن الأخلاق الحسنة ركن أساس في حياة المسلم، وفي حياة المجتمع الإسلامي.

وحسن الخلق هو: التخلق بآداب الشريعة، والتأدب بآداب الله التي أدّب بِها عباده... وهو التجمل بالأخلاق الحسنة والتحلي بالآداب الفاضلة مثل: الصدق، والأمانة، والصبر، والعفاف، والنصيحة، والإحسان إلى الناس، والإنفاق في وجوه البر والخير، والإصلاح بين الناس، وصلة الأرحام، وتوقير العلماء والكبار، والحلم والأناة، والرفق والعفو...

مع ترك الأخلاق الذميمة كالكبر، والحسد، والغيبة والنميمة، والكذب والنفاق، وسبّ المسلمين وإيذائهم والشماتة بِهم، والغش والخداع والبغي...

---

[1] - النهاية في غريب الحديث والأثر 1/ 341.

روى الترمذي بسند حسن عن عبد الله بن المبارك - رحمه الله - في تفسير "حسن الخلق" قال: "هو طَلاقَةُ الْوَجْهِ، وبَذْلُ الْمَعْروفِ، وكَفُّ الأَذَى".

2/ قوله "عليكم بالصدق" =

في الحديث ترغيب وإرشاد نبوي واضح للتحلي بخلق الصدق ولزومه، كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة119)، وقال تعالى: (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) (الأحزاب35)، فالصدق خصلة محمودة مطلوبة من المؤمنين رجالا ونساء.

ورغم أن خلق الصدق كان معروفا عند العرب في جاهليتهم، إلا أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – زاده تأكيدا وترغيبا؛ تنبيها لأهميته وقيمته في البناء الخلقي للمجتمع، وفي قصة أبي سفيان مع هرقل الروم بيان واضح لذلك؛

فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أن "أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش... ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا الرجل فإن كذَبَنِي فكذّبوه، فوالله لولا الحياء من أن يَأْثروا عليّ كذباً لكذبت عنه.

... قال – أي: هرقل -: ماذا يأمركم؟ قلتُ: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة... (القصة بطولها)".[1]

فالعرب رغم ما كانوا عليه من شرك وانحراف إلا أنهم كانوا يعظمون شأن الصدق، ويستقبحون الكذب حتى مع العدو.

- والصدق هو "مطابقة القول الضميرَ والمخْبَرَ عنه، فإن انخرم شرط لم يكن صدقا، بل إما أن يكون كذبا أو مترددا بينهما على اعتبارين، كقول المنافق: محمد رسول الله، فإنه يصح أن يقال صدق لكون المخبَر عنه كذلك، ويصح أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره".[2]

فالصدق إذن هو موافقة الظاهر للباطن، والقول للعمل، والخبر للواقع، قال ابن القيم – رحمه الله – واصفا الصدق: "وهي منزلة القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يَسِرْ عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران... فهو روح الأعمال، ومحل الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي منه دخل الواصلون إلى حضرة ذي الجلال.

---

[1] - رواه البخاري في "كتاب بدء الوحي" رقم (7).

[2] - الحافظ ابن حجر "فتح الباري" 10/ 623 رقم (6094).

وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين...".[1]

الصدق أنواع: أساسه الصدق مع الله وهو أعظم أنواع الصدق، وهي النصيحة لله وإخلاص التوجه إليه سبحانه، وصدق القلوب سبب لبلوغ المطلوب، وأن من نوى شيئا من أعمال البر أثيب عليه وإن لم يقدر عليه... فعن سهل بن حنيف – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

"من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه".[2]

– الثاني: الصدق الناس، في حديثه، وفي معاملاته، وفي عهوده... قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: "البيعان بالخيار... فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما..."، ومن الصدق مع الناس بذل النصح لهم...

3/ قوله " فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة" =

وهي من الثمار اليانعة لخلق الصدق كما قال تعالى: (فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ) (محمد21) فالصدق خير ومنجاة، وهو الذي يعطي الأعمال قيمتها؛ لأنه روحها، فلو أخلصوا لله في الإيمان وصدقوه في الطاعة، لكان الصدق خيرا لهم.

والصدق هو الذي ينفي عن صاحبه النفاق، ويقي المتحلي به الغدر والخيانة، ويقوده إلى الوفاء بالعهود وأداء الأمانات إلى أصحابها، وهو أساس الإيمان، كما أن النفاق والكفر أساسهما الكذب، فلا يجتمع صدق ونفاق، والصدق مقدمة لكل الأخلاق الجميلة، وهو الداعي إليها، وهو عنوان الإسلام، وميزان الإيمان، وله المقام الأعلى في الدين والدنيا، وبالصدق يصل العبد إلى منازل الأبرار...

فهذا كعب بن مالك – رضي الله عنه – يحكي لنا قصة تخلفه عن غزوة تبوك، وكيف أنجاه الله تعالى من تلك المحنة بصدقه، يقول:

"لم أتخلف عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – في غزوة غزاها قطّ إلا في غزوة تبوك... وكان من خبري حين تخلفتُ عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أني لم أكُنْ قطُّ أقوى ولا أيْسَرَ مني حين تخلفت في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – في حرٍّ شديد، واستقبل سفرا بعيدا، في وقت طابت فيه الثمار والظلال...

يقول كعب: فلما بلغني أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قد توجّه قافلا من تبوك حضرني بَثّي – الحزن الشديد –، فطَفِقْتُ أتذكر الكذب وأقول: بِمَ أخرج من سخطه غدا... فأجمعت صدقه، وأصبح رسول

---

[1] – مدارج السالكين 2/ 268.

[2] – رواه مسلم (1909).

الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قادما، فجاءه المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له، فقبل منهم علانيتهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى.

حتى جئت، فلما سلمتُ تَبَسَّم تبسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثم قال لي: ما خلّفَك؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك، قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أُعطِيتُ جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدَّثْتُك اليوم حديثَ كذب ترضى به عنّي لَيوشِكَنّ الله يُسْخِطُك عليّ، وإن حدثتك حديثَ صدقٍ تَجِدُ عليّ فيه، إني لأرْجو فيه عُقْبَى الله عز وجل، والله ما كان لي من عذر...

فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: أمّا هذا فقد صدق، فقُمْ حتى يقضي الله فيك... ونهى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – عن كلامنا...

يقول كعب: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منّا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعتُ صوت صارخ يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجدا... فآذن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – الناس بتوبة الله عز وجل علينا...

فلما سلمت على رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال وهو يَبْرِقُ وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مرّ عليك مذ ولدتك أمك، فقلت يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيتُ.

فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، والله ما تعمدت كذبة مذ قلت ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى يومي هذا...

قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا...".[1]

4/ قوله "وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا" =

تأكيد على فضيلة الصدق، وأن المرء إذا تحرى الصدق واجتهد أن يكون هو ديدنه، فسوف يكتب عند الله صديقا مع النبيين والشهداء والصالحين. وعندها سيوفقه الله إلى الصالحات ويعصمه من شرور الفتن كما في الحديث: "وما تقرب إلي عبدي...حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به..." رواه البخاري.

5/ قوله "وإياكم والكذب" =

الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه في نفس الأمر، سواء تعمد ذلك أم جهله.

---

[1] - رواه البخاري 8/ 113، 118- ومسلم (2789).

والحديث فيه نهي وتحذير شديد وواضح عن خلق الكذب، وحرمة الكذب ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، بل وفي جميع الشرائع، وهو من كبائر الذنوب، وحتى العرب في جاهليتهم كانوا يعظمون شأن الكذب ويتحاشاه أفرادهم ألا ترى إلى قصة سفيان مع هرقل حين قال "... فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه...".

6/ قوله "فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا" =

فيه التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فيعرف به.

وقد أخبر – صلى الله عليه وآله وسلم – عن صور من عذاب الكذابين في البرزخ، ففي الصحيح قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –:

"إنه أتاني آتيان... فأتينا على رجل مُسْتَلْقٍ لقفاه وإذا آخر قائمٌ عليه بكَلُوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شِقَّيْ وجهه فيُشَرْشِر شِدْقَه إلى قفاه، ومَنْخِره إلى قفاه، وعيْنَه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر. فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يَفْرُغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى...

قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجبا؟ فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما إنا سنخبرك؛...

وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشَرْشَر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيَكْذِبُ الكِذْبَةَ تبلغ الآفاق – وفي رواية: الذي رأيته يُشَقُّ شدقه فكذّاب، يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة...".[1]

فهذا يبيّن أن عواقب الكذب وخيمة، وأنه من المهلكات الموبقات التي تورد صاحبها المهالك.

7/ ويكفي في قبح الكذب ومقته أنه قرين النفاق وأساسه وبريده كما في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال:

آية المنافق ثلاث؛ إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائْتُمِنَ خان".[2] زاد مسلم: "وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم".

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –:

---

[1] – رواه البخاري 3/ 251، و12/ 438.

[2] – رواه البخاري في "كتاب الأدب/ باب: قول الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة119)، وما ينهى عن الكذب" رقم (6095) – ومسلم.

"أربعٌ من كنّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر".[1]

ولا شك أن الكذب هو القائد إلى إخلاف العهود، وتضييع الأمانات، وغدر الخلق، والنفاق مع الله سبحانه وتعالى: (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ) (التوبة 75، 76، 77).

8/ ما يجوز من الكذب:

الكذب وإن كان أصله محرما، إلا أنه يجوز في بعض الأحيان والأحوال؛

فالكلام "وسيلة إلى المقاصد، وكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يَحْرُم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب، جاز الكذب. ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا، وإن كان واجبا، كان الكذب واجبا؛ فإذا اختفى مسلمٌ من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وأخفى ماله، وسُئِل إنسانٌ عنه، وجب الكذب بإخفائه، وكذا لو كان عنده وديعة، وأراد ظالم أخذها، وجب الكذب بإخفائها.

والأحوط في هذا كله أن يُوَرِّيَ، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا بالنسبة إليه، وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب، فليس بحرام في هذا الحال.

واستدل العلماء لجواز الكذب في هذا الحال بحديث أم كلثوم - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول:

"ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا. (أي: يبلغ)

زاد مسلم: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يُرَخِّصُ في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث؛ تعني: الحربَ، والإصلاحَ بين الناس، وحديثَ الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها".[2]

فالمصلحة في مثل هذه الأحوال راجحة لذلك جاز الكذب فيها استثناء.

والله أعلم وهو الموفق والهادي سواء السبيل

---

[1] - رواه البخاري (34، 2459، 3178) - ومسلم (58) - وينظر لهذا التفصيل: "بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين" لسليم الهلالي 3/ 69، 70.

[2] - رواه البخاري 5/ 299 - ومسلم (2605).